عقدة الصحابة

إفراط وتفريط

عقدة الصحابة

إفراط وتفريط

معالجة قرآنية عقلائية

غسان نعمان ماهر السامرائي

بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى 1436هـ / 2015م

المحتوى

مقدمة 7

الفصل الأول **إفراط وتفريط** 11

الفصل الثاني **أنواع الناس في العهد النبوي** 19

الفصل الثالث **من هو الصحابي . الخلل الشديد** 29

الفصل الرابع **ولكن ماذا عن "الرضوان"؟** 37

الفصل الخامس **وماذا عن "السابقون الأولون"؟** 45

الفصل السادس **إضاءات أخرى على "الرضوان"** 55

الفصل السابع **حاجة المفسر إلى الحديث والتاريخ – مؤامرة العقبة** 65

الفصل الثامن **إنذار لما بعده ﷺ** 87

الفصل التاسع **دليل العامل السياسي – الأنصار** 103

الفصل العاشر **لا تـُفـْرِطوا ولا تـُفـَرِّطوا** 123

مقدمة

أذكر كلمة "صحابي" أمام أي مسلم سني فكأنك تسمعه نشيد العندليب!

ثم اذكر كلمة "صحابي" أمام أي مسلم شيعي فكأنك تسمعه ضجيج الحدادين!

موقفان متناقضان

يعتبر الموقف من صحابة النبي ﷺ من أشد مؤاخذات أهل السنة على الشيعة، بل يمكن القول أن موضوع الصحابة هو الموضوع الفصل في المشكلة، وذلك من خلال ما يلي:

من جانب الشيعة

- كان ضمن الصحابة الحكام الأولون الذين يعتبرهم الشيعة غير شرعيين
- الكثير من الصحابة كانوا عوناً للحكام من الصحابة، أو قبلوا حكمهم وسكتوا عنهم

- الخلاف بين أهل البيت عليهم السلام وبعض كبار الصحابة والذي وصل إلى حد الحرب

- القمع المستمر الذي تعرض له الشيعة من قبل حكام يزعمون تقديسهم للصحابة.

ومن جانب أهل السنة

- مجانبة الشيعة للصحابة بحيث وضعوا معظمهم في الجانب المعادي لأهل البيت عليهم السلام

- الصحابة هم الذين حملوا الإسلام للأجيال فمن يجانبهم إنما يعادي الإسلام

- الصورة السوداء لنشأة الشيعة والتي تراوح بين اليهود والفرس، واليهود أمرهم ظاهر، أما الفرس فقد تعلم أهل السنة أنهم أسسوا التشيع لضرب الإسلام

- الإعلام المعادي للشيعة الذي يتهمهم بأشنع التهم، وصولاً إلى الشرك والكفر.

أضف إلى ذلك عدم الانفتاح بين أتباع المذهبين بالشكل صادق النية، ما يؤدي إلى عدم تغيير هذه الصورة القاتمة بين الطرفين.

محاولة التخفيف

إن ما أقوم به في هذا البحث محاولة للتخفيف من هذه العقدة المستحكمة بين أتباع المذهب السني وأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام – عقدة الصحابة، وذلك من خلال الإشارة إلى الخطأ الواضح في موقف الجماعتين:

فلا الصحابة كلهم عدول لا يحق لأحد من الخلق أن ينتقد أحداً منهم دع عنك رميهم بالفسق أو النفاق أو حتى الكفر؛

ولا الصحابة غالبيتهم العظمى قد سقطوا وانقلبوا على أعقابهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلا يساوون فلساً؛

ما نتج عنه "غلوّ فيهم" عند أهل السنة، و "غلوّ ضدهم" عند الشيعة.

ولكي يكون الطرح مقبولاً لكل من أراد الحق وتحرر من التقليد الأعمى، فإني سآتي بالدليل على نقض هذا الغلو هنا وهناك من:

(أولاً) لقطات قرآنية، سواء بالسرد للآيات واضحة الدلالة، أو بتدبر سريع لبعضها

(ثانياً) لقطات قرآنية لا تجد لها توضيحاً إلا من خلال الروايات الحديثية والتاريخية

(ثالثاً) ما تعارف عليه العقلاء، مطلقاً أو من خلال الآيات القرآنية.

فليس البحث في "الصحابة" أنفسهم، ولا في طبقاتهم، ولا في مواقفهم، لأن مثل ذلك البحث لا يمكن أن يعطى حقه إلا من خلال عمل ضخم يستدعي دراسة ربما تحتاج إلى مجموعة من الباحثين...

البحث هنا في "عقدة الصحابة"، التي تشكل أهم مشكلة خلافية بين الطائفتين المسلمتين الكبيرتين، والتي تستخدم (بالتأكيد) من قبل أعدائهما جميعاً في تأجيج الخلاف إلى صراع دامٍ نشهده اليوم...

إنها محاولة مخلصة لعمل شيء نافع من شأنه بناء جسور تهدمت أو تعطلت بناء على مواقف قديمة تتجدد في آثارها التي ملأت الأجواء بغضاً وريبة حتى انطلقت من عقالها اليوم إلى مستويات جنونية مع الأسف الشديد.

فعسى الله أن يفتح قلوباً لمزيد من الفهم والتفهم لمواقف الآخر من أجل إشاعة روح المحبة والثقة لإطفاء النيران المشتعلة.

أسأل الله أن يوصل الرسالة القرآنية العقلائية المخلصة إلى عباده ويوفقهم لقبولها والعمل على هديها.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الشاكرين وجميع الأنبياء والمرسلين.

الفصل الأول

إفراط وتفريط

(أولاً) عقدة الصحابة

عقيدة أهل السنة في الصحابة

قال صاحب العقيدة الطحاوية[1]:

"ومن أحسن القول في أصحاب رسول الله ﷺ، وأزواجه الطاهرات من كل دنس، وذرياته المقدسين من كل رجس، فقد برىء من النفاق".

أقول أنه:

1. جعل جميع الأصحاب والأزواج في سلة واحدة، فالقول في أحدهم كالقول فيهم جميعاً.

2. وصف زوجات النبي ﷺ بـ "الطاهرات" أي داخلات في ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ الأحزاب:33 مع أن الآية تخص الخمسة: النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين، ولا تشمل الزوجات ولا غيرهن مطلقاً، بناء على ما صح من قول النبي ﷺ

وفعله). كلمة "الطاهرات" تفعل فعلها، فمن ينتقد السيدة عائشة (وهي المقصودة بهذا) كأنه ينتقد عفتها – والعياذ بالله – التي نال منها بعض الصحابة (وليس الشيعة!)، بينما النقد الشيعي هو لمعاداتها لأهل البيت عليهم السلام الذي لم يستطع المؤرخون ستره فافتروا على الشيعة هذا الافتراء الفظيع؟

3. جعل التقديس من الرجس للذرية (أصحاب الكساء) والتطهير من الدنس للزوجات في تقسيم كيفي غريب عن فعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقوله.

4. أهم نقطة – الحكم بالنفاق على كل من لم يحسن القول في الأصحاب والأزواج والذرية. وكلمة "ومن أحسن القول" تعني أن "إساءة القول"، مجرد أن تنتقد، فأنت محكوم بالنفاق! وهذا حكم قاس جداً، علاوة على تناقضه في داخله، لأن الصحابة أنفسهم قالوا في بعضهم ما هو أسوأ من سيء القول.

وأكمل في غير الصحابة: "**وعلماء السلف من السابقين، ومن بعدهم من التابعين – أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر – لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل**".

وهو قرار أكثر غرابة من الأول، فهل يعقل أنه يجب على المسلمين على مر العصور رأي واحد في العلماء والتابعين بحيث لا يجوز ذكرهم "إلا بالجميل"

لأنه "من ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل" أي سبيل المؤمنين؟ أي سجن للعقول والأفكار والبحث وأي كم للأفواه هذا؟

أما السلفية فإن عقيدتها مطابقة في هذا لعقيدة أهل السنة. قال الشيخ محمد العثيمين:

"ونعتقد أن ما جرى بين الصحابة (رض) من الفتن، فقد صدر عن تأويل اجتهدوا فيه فمن كان منهم مصيباً كان له أجران، ومن كان منهم مخطئاً فله أجر واحد وخطؤه مغفور له. ونرى أنه يجب أن نكف عن مساوئهم فلا نذكرهم إلا بما يستحقونه من الثناء الجميل، وأن نطهر قلوبنا من الغل والحقد على أحد منهم" [2].

النتيجة هي:

من يتكلم أية كلمة "سيئة" بحق "أي" صحابي فإنه "لم يبرأ من النفاق"، أي نفاق قليل أو كثير؛ بل ويمتد إلى التابعين، فإنه "على غير السبيل" أي "سبيل المؤمنين" **﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيراً﴾!**

لهذا حكموا الحكم التالي كما أعلنه أبو زرعة (200-264هـ):

"وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة"[3].

وأما التبعة "القانونية" ففي كلام أحمد بن حنبل (164-241هـ):

"لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم؛ فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، وليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ثم يستتيبه فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة، وخلده في الحبس حتى يتوب ويراجع"[4].

فهكذا الحكم:

المنتقد للصحابة بأي نقد = منافق + زنديق + على غير سبيل المؤمنين

عقوبة المنتقد للصحابة = عقوبة + استتابة + فإن لم يتب فالسجن المؤبد

(ثانياً) من هو الصحابي؟

ولكننا سنعلم أن القرآن يرفض هذا الكلام مطلقاً، لأن بناءه على أساسين غير صحيحين:

الأول / الصحابة = كلهم مؤمنون عدول

الثاني / الصحابة = وحدهم ناقلو القرآن والسنة إلينا.

فقد عرفوا "الصحابي" أنه:

"مَنْ لَقِيَ النَّبِيَّ ﷺ مُؤْمِناً بِهِ، وَمَاتَ عَلَى الإِسْلامِ. فَيَدْخُل فِيمَنْ لَقِيَهُ: مَنْ طَالَتْ مُجَالَسَتُهُ لَهُ أَوْ قَصُرَتْ، وَمَنْ رَوَى عَنْهُ وَمَنْ لَمْ يَرْوِ، وَمَنْ غَزَا مَعَهُ أَوْ لَمْ يَغْزُ، ومَنْ رَآهُ رُؤْيَةً وَلَوْ لَمْ يُجَالِسهُ، وَمَنْ لَمْ يَرَهُ لِعَارِضٍ كَالْعَمَى"[5].

وأن معنى "العدل" عند وصف الصحابي هو:

"مَنْ لَهُ مَلَكَةٌ تَحْمِلُهُ عَلَى مُلازَمَةِ التَّقوى والمُرُوءةِ. والمُرَادُ بِالتَّقوى: إِجْتِنَابُ الأعمالِ السّيئة مِنْ شِركٍ أَوْ فِسقٍ أوْ بِدعة"[6].

ثم حكموا عليهم بالعدل، فـ "كل صحابي" = عادل،

بحيث أن البحث في سند الأحاديث ينتهي إلى الصحابي، هناك يقف لأن الصحابي "عدل" لا يمكن أن يخطئ أو يكذب أو يفتري أو ينسى أو يختلط في آخر عمره.

إن القول أن "الصحابة" = كل من حضر عند النبي ﷺ + مؤمن

لا يتوافق مع التقسيم القرآني بناء على المصطلح لمفردة "صحابي" – قرآنياً وعقلائياً، بما سأعرضه في الفصلين الثاني والثالث.

(ثالثاً) إفراط وتفريط

الحالة النفسية الشيعية من الصحابة

مقابل "الإفراط السني"، نجد "التفريط" الشيعي، بحيث أن الجمهور الشيعي، ومعه الباحثون والكثير من طلاب العلوم الدينية والخطباء، عنده حساسية شديدة من الصحابة، لفظاً وتشخيصاً.

نعم، هذا "التفريط" لم يأت من فراغ أو مؤامرات الفرس واليهود كما يفتري أعداء الشيعة، فإن القرآن – كما سنقرأ – كشف لنا الكثير من المواقف السيئة، ومنها مواقف عامة مدهشة حقاً تضع الكثير من الصحابة في دائرة الاتهام. ولكن لا يجوز أن يتحول هذا إلى مجانبة لغالبية الصحابة بحيث أن الفرد الشيعي لا يعرف إلا القلة منهم مع وجود الآيات والأحاديث والكلمات والثابت من التاريخ الذي يعلن وجود الكثيرين من الصحابة من ثبتوا على ما عاهدوا الله عليه وما بدلوا تبديلاً، إضافة إلى الاختلافات الشديدة في المواقف ما يحتم عدم التعميم.

يكفي أن نذكر بآية واحدة:

﴿**وَإِن يُرِيدُواْ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللهُ هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ**﴾ الأنفال:62.

فإن الله شاء أن يكون تأييد النبي ﷺ من جهتين:

- النصر الغيبي بالملائكة والرعب في قلوب المشركين وغير ذلك

- المؤمنين من الصحابة

فإن هؤلاء الصفوة الذين أيد بهم النبي ﷺ هم من أفضل الخلق لأنهم كانوا جزءاً من سلاح الإسلام في معاركه الأولى؛ فيتوجب لهم كامل الاحترام والتقدير والمحبة والذكر الطيب.

وإن شئتم ففي قول علي عليه السلام وهو يصف عظيم بلائهم:

«**ولقد كنا مع رسول الله نقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا وأعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً وتسليماً، ومضياً على اللقم، وصبراً على مضض الألم، وجداً في جهاد العدو ... فلما رأى الله صدقنا أنزل بعدونا الكبت، وأنزل علينا النصر، حتى استقر الإسلام ملقياً جرانه ومتبوئاً أوطانه**»[7].

وأما مدحه عليه السلام للأنصار فأعظم المدح:

«**هم والله ربوا الإسلام كما يربى الفلو! مع غنائهم بأيديهم السباط، وألسنتهم السلاط**»[8]، ينسب إليهم تربية الإسلام في حدب وحب كما يفعل بصغير الخيل حتى يقوى ويكبر.

رضوان الله عليهم.

[1] أبو جعفر الطحاوي 239-321هـ، كتابه "العقيدة الطحاوية" قبله أهل السنة كما قبله السلفية عموماً.

[2] كتيب "عقيدة أهل السنة والجماعة" (علماً أن السلفية يخالفون عقيدة أهل السنة والجماعة في العديد من العقائد لا سيما في الذات المقدسة، ولكنهم صاروا ينشرون عقائدهم تحت مسمى أهل السنة والجماعة من أجل النفوذ إليهم).

[3] الكفاية في علم الراوية ص97

[4] السنة ص17

[5] الإصابة في تمييز الصحابة، إبن حجر العسقلاني (773-852هـ)

[6] نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، إبن حجر، ص55

[7] نهج البلاغة ج2 الخطبة 56

[8] نفس المصدر ج4 ص106

الفصل الثاني

أنواع الناس في العهد النبوي

(أولاً) الإطار العام للبشر

يعلن القرآن كثيراً أن "أكثر الناس" لا يعلمون، لا يعقلون، لا يشكرون، وحتى لا يؤمنون:

﴿**وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ**﴾ يوسف:103

بل حتى بعد أن يدخلوا الدين ويعطوا العهود يفشلون في مراقبتها:

﴿**وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ**﴾ الأعراف:102

وحتى المؤمنون فإن القليل منهم فقط من يخلو إيمانه من الشرك:

﴿**وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُونَ**﴾ يوسف:106

وعليه، فإننا سنكذب القرآن إذا ادعينا صحة مبدأ الأكثرية يمكن أن تكون على حق، لأن العكس هو الصحيح حسب النص القرآني.

(ثانياً) سنّة الابتلاء

منه العام:

﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ . وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ العنكبوت: 2-3

ومنه يخاطب المسلمين:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَـمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْـمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ التوبة: 16

أي لا بد أن ندخلكم الاختبار لنعلم:

"الجهاد" + "الانقطاع" إلى الله ورسوله ﷺ والمؤمنين

لأن "وليجة" هي الصلة (سنذكر شكاية علي عليه السلام «حَتَّى إِذَا قَبَضَ اَللهُ رَسُولَهُ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى اَلْأَعْقَابِ وَغَالَتْهُمُ اَلسُّبُلُ وَاتَّكَلُوا عَلَى اَلْوَلاَئِجِ ...» عند التعرض إلى آية الانقلاب على الأعقاب).

(ثالثاً) أنواع الناس في العهد النبوي

فلماذا يختلف في الأمة الإسلامية – الإطار العام للبشر + سنة الابتلاء؟

هل أخبرنا القرآن أو النبي ﷺ أن "طبائع" البشر تغيرت بعد نزول القرآن؟ كلا.

هل أخبرانا أن "جميع" الذين دخلوا الدين الجديد تحولوا إلى ما يشبه الملائكة؟ كلا.

فما هي أقسام الناس على العهد النبوي؟

(القسم الأول) "الذين آمنوا"

مصطلح "الذين آمنوا" ليس "المؤمنين" أي من تحقق الإيمان في قلوبهم فعلاً ودائماً، الصحيح هو:

"الذين آمنوا" = الجماعة المسلمة التي "دخلت" الدين الجديد و"أظهرت" إسلامها

بدليل:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ ... إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ** ...﴾ النساء: 136-137

هنا نجد:

1. دعوة لـ "الذين آمنوا" أن "يؤمنوا بالله والرسول والقرآن"، فلو كانوا "مؤمنين" حقاً لما دعاهم إلى الإيمان

2. من "كفر بعد الإيمان"، بل كررها، ثم شددالكفر. هل نعرف من هؤلاء؟ كلا.

دليل آخر:

﴿**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هِادُواْ ...**﴾ المائدة:41

الآية تفرق بين "الذين قالوا آمنا ادعاءً" و "اليهود"، وعليه فالأولون هم قطعاً من المسلمين. وهل نعرف هؤلاء؟ كلا.

وآخر:

﴿**وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْـمُؤْمِنِينَ**﴾ النور:47

يعلنون "الإيمان + الطاعة" ولكنهم بعد مدة يتراجعون. وهل نعرف هؤلاء؟ كلا.

لهذا من الضروري جداً التفريق بين "الذين آمنوا" و "المؤمنين"، فإن القرآن لا يطلق وصفاً ولا ينشئ مصطلحاً بشكل عشوائي، فهو في غاية الدقة.

دليل آخر – حبط العمل محتمل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ محمد:33

وفيه نقطة مهمة لمن يريد اتباع القرآن وحده دون السنة النبوية:

الآية توجب "طاعة الله + طاعة الرسول"، وإلا "يبطل العمل".

فحذار حذار من السقوط في هذا الاتجاه.

لأنه إذا كان مجرد عدم التعامل مع النبي ﷺ باحترام ومراقبة "يحبط العمل" فما بالك بحذف سنته النبوية في قوله وفعله وتقريراته؟

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ الحشر: 2

(القسم الثاني) المنافقون

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْـمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ...﴾ التوبة:101

فـ "المنافقون" من خارج المدينة وداخلها، وهو ﷺ لا يعلمهم، فمن الممكن جداً أن لا تخرج كلمة إدانة منه ﷺ بحق البعض منهم لأنه لم يخبر بهم.

(القسم الثالث) الذين في قلوبهم مرض

﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ التوبة:124-125

آية عظيمة، لأنها:

1. تثبت أن "الذين آمنوا" بحاجة إلى "زيادة الإيمان" (ما قلناه آنفاً)

2. هناك "الذين في قلوبهم مرض" وصفته "رجس"

(فانظر كيف أن الله أذهب الرجس عن أهل البيت عليهم السلام ليخلص إيمانهم)

- نقطة جانبية: محاولة التعرف على هؤلاء

من الصعب معرفة ما انطوى عليه القلب، ولكن الله تعالى أخبرنا بأمرين في قوله:

﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ . وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَـحْنِ الْقَوْلِ وَاللهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ محمد:29-30

1. سيفضح الله تعالى ما في داخلهم

2. لهم "سيماء" معينة، كما أن كلامهم ملتوٍ "لحن القول"

فهذه "ضابطة" مهمة للباحثين في تاريخ الجيل الأول – ماذا كان رأي فلان في القضية الفلانية أو تصرف فلان في الحادثة الفلانية، وهكذا.

(القسم الرابع) الذين يسقطون في الشك +

(القسم الخامس) الشّاكّون بعدل الله ورسوله ﷺ

﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ . وَإِن يَكُن لَّـهُمُ الْـحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ . أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ النور: 48–50

صنفان جديدان:

"المرتابون" في الدين، لأن "أم ارتابوا" مطلقة، فإيمانهم ضعيف قطعاً

"الشاكون بعدل الله ورسوله ﷺ" في الحكم؛ فأي إيمان عند هؤلاء؟

(القسم السادس) المؤمنون المعرضون للاهتزاز

﴿إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْـحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا . هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْـمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ الأحزاب: 10–11

هذا المثال لهؤلاء من معركة الأحزاب/ الخندق.

(القسم السابع) المعوّقون

أي الذين يخذلون أو يجبّنون أو يحبطون الآخرين:

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْـمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً ... أُوْلَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَـهُمْ ..﴾ الأحزاب: 18-19

فهذا دليل على:

1. وجود هؤلاء "المعوقين" في وسط المسلمين لأنه يقول لهم "منكم"

2. أنهم كانوا يقومون بأعمال صالحة ولكن لعدم اقترانها بالإيمان فقد حبطت؛ وعليه فلا يجب الاغترار بعمل صالح من صحابي أو غيره لأننا لا نعلم حقيقة القلب.

(القسم الثامن) المرجفون

أي الذين يضعفون الصفوف بالإشاعات الكاذبة:

﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْـمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْـمُرْجِفُونَ فِي الْـمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إلاّ قَلِيلاً﴾ الأحزاب: 60

(القسم التاسع) الذين في قلوبهم زيغ

﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ﴾ آل عمران:7

"الزيغ" يعني "الانحراف"، فهؤلاء "آمنوا" بدليل أنهم يتعاطون مع القرآن، ولكن بسبب "الزيغ" فإنهم يقفزون إلى "المتشابه" من الآيات دون أن يعرضوها على "المحكم"، وبشكل متعمد تكشف عنه كلمة "ابتغاء"، من أجل إحداث "الفتنة" في الناس ومن أجل "التأويل" حسبما يشتهون.

هذا النوع من أخطر الأنواع لأنه يعيش عبر العصور وإلى اليوم.

(القسم العاشر) المؤمنون

أنظر الفارق الكبير بين المذكورين في آيات معركة الأحزاب ومن ذكروا في آخرها:

﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ الأحزاب:22

سماهم "المؤمنون"، فإنه –

بعد الابتلاء والزلزال الشديد، وصار"الذين آمنوا" "يظنون بالله الظنونا"، وصار "المنافقون" + "الذين في قلوبهم مرض" يقولون ﴿**مَا وَعَدَنا اللهُ وَرَسُولُهُ إلاّ غُرُوراً**﴾ الأحزاب:12،

فإن "المؤمنين" ثبتوا ولم يكذبوا، بل ازدادوا في قضيتين:

"الإيمان" في القلب + "التسليم" في الخارج لقضاء الله تعالى ولأوامر الرسول ﷺ.

هؤلاء صفاتهم مفصلة في سورة المؤمنون وغيرها.

فكيف يمكن معرفة كل هؤلاء "غير المؤمنين" بحيث نطمئن إلى أن الصحابي الفلاني هو من صنف "المؤمنين"؟

ودليل الاستحالة هو أنهم ما جئتهم باسم صحابي إلا وقالوا "صحابي جليل" ما يعني أنهم مسحوا سائر الأقسام التي نص عليها القرآن، وذلك لأن السياسة اقتضت ذلك...

فهل نتبع القرآن أم الحكام؟

الفصل الثالث

من هو الصحابي . الخلل الشديد

(أولاً) من هو الصحابي

1 . الأساس الأول لعقيدة أهل السنة / الصحابة كلهم مؤمنون عدول...

فمن هو "الصحابي" حقاً؟

- اللفظة "لغوياً"

هناك خلط بين "صاحب" و "صديق"، فإن الناس كأنهم يفهمون من "صحابة النبي ﷺ" أنهم "أصدقاؤه"، بينما "الصديق" يكون باختيار في علاقة فيها المحبة والاحترام والتعاون؛ وحتى هذه هناك "الصديق الصدوق"، فهو يصدقك القول والموقف والنصيحة خشية عليك وعلى مصالحك لمحبته الحقيقية.

أما "الصاحب" فهو "المصاحب" الذي صارت له معك "صحبة"، في سفر أو دراسة أو عمل أو حتى ضمن العائلة؛ فلا تدل لفظة "صاحب" على مدح ولا ذم.

- اللفظة "قرآنياً"

يختلف عن ذلك الأساس تماماً:

الصديق: ﴿**لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ... وَلا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ... أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ...**﴾ النور:61

فلأنه "صديق" تم ضم بيته إلى بيوت الأرحام؛ لم يقل "صاحبكم".

بينما "الصاحب" جاء في حالات مختلفة:

﴿**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ**﴾ عبس:34-36

فهذه "الزوجة" يمكن أن تكون صالحة أو سيئة، فلا ثناء في كلمة "صاحبة" هنا.

في قصة يوسف عليه السلام ﴿**يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**﴾ يوسف:39

يخاطبهما وهما على دين ملوك الهكسوس الشركي، فلا يمكن أن تكون "صاحب" ثناء.

وقصة الرجلين ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً**﴾ الكهف:37

فهذا "صاحب" كافر.

2 . دليل مهم على فساد الأساس الأول

الآية التي تحكم على "أكثرهم من المكيين" ببقائهم على الكفر:

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ يس: 7

تتحدث عن "المشركين المعاندين من أهل مكة" لأن يس مكية؛

وهي قاطعة "حق القول"، أي لم يعد مجال لهؤلاء المعاندين بالـ "إيمان".

ولكن بعد "فتح مكة" دخل "جميع المكيين" الإسلام!

إذاً صار عندنا "جماعة كثيرة" مسلمة + غير مؤمنة.

فكم عددها؟

يقولون أن عدد سكان مكة يوم الفتح 2000 (غير معقول، ولكن لنقبله)، وسورة يس نزلت قبل الهجرة، ما يعني أن جميع الأنصار ليسوا داخلين فيها، وأن معظم المهاجرين ليسوا داخلين لأن أول الهجرة لم تكن إلا للعشرات، وإذا بيوم الفتح يدخل النبي ﷺ مكة بـ 10 آلاف[1]، فلو طرحنا نصفهم من قبائل أخرى وهو مبالغة، فإننا ننتهي إلى أن "أكثرهم" في الآية تعني ألوفاً كثيرة "دخلت الإسلام" لم يسقط منهم في المعارك إلا القليل جداً...

فتأمل كم من هؤلاء صاروا يصفونه "صحابياً جليلاً" وهو ممن "حق القول" عليه أنه "لا يؤمن"!

3. **ولا تنسوا ما قلناه بخصوص الذين ﴿يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ﴾** آل عمران:7، ونسأل:

ماذا يقول الذين يحكمون بعدالة الصحابة جميعاً: هل هم متيقنون أن الصحابي الذي حكم بناء على المتشابه دون العرض على المحكم لم يقم بذلك من أجل الفتنة؟ هل هم متيقنون من سلامة نيته؟

فإن قالوا نعم، فهل هو جارٍ في من دخل في الفتن في القرن الأول؟

كيف يدخل إنسان في الفتنة ثم نحكم عليه يقيناً أنه لم يكن من الذين "يبتغون الفتنة"؟!

(ثانياً) مثالان على الخلل الشديد

(الأول) سورة الجمعة

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَـهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا، قُلْ مَا عِندَ اللهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ الجمعة:11

تركوا النبي ﷺ على المنبر وانصرفوا إلى اللهو والتجارة.

سؤال 1: ما تقييمكم لدرجة "إيمان" هؤلاء وهم يزهدون في كلام النبي ﷺ ومواعظه؟

سؤال 2: لنترك "الإيمان"؛ كم درجة "المحبة" للنبي ﷺ بحيث يفضلون اللهو والتجارة عليه؟

سؤال 3: لنترك "الإيمان + المحبة"؛ ألا يوجد شيء من "مجاملة" لمقامه العظيم، ولو رياءً؟!

سؤال 4: بالله عليكم، هل سمعتم بمثل هذا حصل مع خطيب جمعة؟ هل فعلتم هذا؟ مع أن الخطباء الذين استمعتم إليهم لا يساوون تراب أقدامه ﷺ؟

فهل يعقل أن الصحابي الذي يزهد بالنبي ﷺ بهذا الشكل السيء خير من التابعي المؤمن أو تابعي التابعي المؤمن أو أي مؤمن في شتى العصور؟

إذا كان ابن المبارك يقول أن **"الغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع النبي ﷺ خير من مثل عمر بن عبد العزيز كذا وكذا مرة"**[2] فما بالكم بمن هم أفضل من معاوية ألف مرة؟!

(الثاني) التصدق عند النجوى

قال تعالى: ﴿**يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا ناجَيتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَينَ يَدَي نَجواكُم صَدَقَةً ذلِكَ خَيرٌ لَكُم وَأَطهَرُ فإنْ لَمْ تَجِدوا فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ. أَأَشفَقْتُم أَنْ تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَي نَجْواكُم صَدَقاتٍ، فَإذْ لَمْ تَفعَلُوا وَتابَ اللهُ عَلَيكُم فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُون**﴾ المجادلة: 12-13.

آيتان عجيبتان تنزل الأولى وجوب تقديم صدقة عند سؤال النبي ﷺ مسألة في السر،

لكن الثانية ترفع الأمر بعد أن فشلوا في البخوع للأمر ﴿**فَإِذْ لَمْ تَفعَلُوا**﴾،

وتبين السبب: الصحابة "أشفقوا" أن يدفعوا.

وبما أنه ﷺ لا يخالف التشريع فكان سيأمر السائل باتباع الآية الأولى، ما يعني أنهم توقفوا عن سؤاله ﷺ؛

وأن الذين لم يدفعوا ليس لعدم قدرتهم المالية، ولكن بخلاً، بدليل

كلمة ﴿**أَأَشفَقْتُم**﴾ + كلمة ﴿**وَتابَ اللهُ عَلَيكُم**﴾ + عدم شمول غير المقتدرين ﴿**فإنْ لَمْ تَجِدوا فإنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**﴾.

والعجيب أن الأولى تحضهم حضاً شديداً ﴿**ذلِكَ خَيرٌ لَكُم وَأَطهَرُ**﴾، مع ذلك لم يستجيبوا.

ولكن هل أن الجميع لم يستجيبوا؟

الروايات التفسيرية تقول أن الذي عمل بها كان واحداً فقط، نعم واحداً فقط،

وهو علي بن أبي طالب عليه السلام (أقول: إذا كان واحداً فمن يكون غيره عليه السلام).

روى ابن جرير في تفسيره عن علي عليه السلام:

«**إن في كتاب اللهّ عز وجل لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي**» ثم تلا الآية، قال: «**فُرضت ثم نُسخت**»[3].

وذكرها الزمخشري عنه عليه السلام:

«**كان لي دينار فصرفته فكنتُ إذا ناجيته تصدقتُ بدرهم**»[4]. كما ذكر تأكيد ابن عمر عليه.

وذكرها الواحدي[5] أنه استمر على الحال حتى نفد الدينار فنُسخت.

السؤال 1: لو فرضنا أنه لم يكن في المدينة من الصحابة سوى 1000، وكان المقتدرون 10٪، أي 100، فكيف لم يأت 99 منهم للمناجاة؟! هل توقفت أسئلتهم وطلب الفتوى الشرعية فجأة؟!

ولو حصل هذا فعلاً، وهو بعيد جداً، أفلم يكف التشجيع الإلهي ﴿**ذَلِكَ خَيرٌ لَكُم وَأَطهَرُ**﴾ لدفعهم إلى المناجاة لمجرد التصدق أو لنيل فرصة الاجتماع به صلى الله عليه وآله وسلم على انفراد؟ أين أصحاب التجارة والموسرون من الصحابة؟ أين الذين يعتقون العبيد ويحفرون الآبار ممن يحدثنا التاريخ عنهم؟

السؤال 2: بما أن الله يعلم أن الصحابة جميعاً، خلا واحداً، سيفشلون فيه، وبما أنه يعلم أنه سيرفع التشريع بعد أيام قلائل، ألا يحق لنا أن نتساءل إن كان الهدف الوحيد من الآيتين هو تبيان تميز هذا العبد الصالح (+ اتضاح حقيقة من طالما سمعنا عن كرمهم وعطائهم)؟

السؤال 3: هل ﴿**فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ، وَاللهُ خَبِيرٌ بِما تَعمَلُون**﴾ بعد التوبة عليهم، بوجوب القيام بالواجبات التي لا مجال للفشل فيها، فيه إشارة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ بشأن الوحيد من بينهم الذي عمل بالآية، فإذا ما وضعه الله ورسوله ﷺ في موضع فإن عليهم الخضوع؟

فهذان مثالان صارخان فشل في الأول جميع الصحابة إلا أفراداً، وفي الثاني جميع الصحابة إلا واحداً، وهو ما لن يحصل في زماننا على ما فيه من سوء!

فهل تحقق في أولئك وصف ابن حجر أن معنى "العدل" عند الصحابي:

"**مَنْ لَهُ مَلَكَةٌ تَحْمِلُهُ عَلَى مُلازَمَةِ التَّقوى والْـمُرُوءةِ. والْـمُرَادُ بِالتَّقوى: إجْتِنَابُ الأعمالِ السّيئة مِنْ شِركٍ أَوْ فِسقٍ أَوْ بِدعة**"[6]؟

أي تقوى وهناك فشل لا يصدق في مجرد "مجاملة" النبي ﷺ؟

[1] سيرة إبن إسحاق ج4 ص859

[2] مرقاة المصابيح في مشكاة المصابيح، ووفيات الأعيان لابن خلكان ج3 ص 33

[3] تفسير ابن جرير الطبري ج28 ص14

[4] تفسير القرآن الكريم سورة المجادلة

[5] أسباب النزول ص308

[6] نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، إبن حجر، ص55

الفصل الرابع

ولكن ماذا عن "الرضوان"؟

(1) المعنى "رضي"

"رضي" يعني حصول "قبول".

(2) متى الرضوان؟

هذا "القبول" يحصل بعد حصول "فعل أو قول" في الخارج.

(3) الرضوان مستمر أم مؤقت؟

بما أن "الرضوان" متعلق بـ "فعل أو قول" فهو "مؤقت" بزمانه أو باستمرار وجوده. فلا يمكن القول: "الله رضي عن فلان" فنقصد أنه رضي عن "جهاده يوم بدر" + "قوله ﴿**ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ الأحزاب:12" يوم الأحزاب، لأن الثاني مستحيل.

(4) نقطة جانبية: بين "رضي الله عنه" و "عليه السلام"

قال تعالى ﴿**قُلِ الْـحَمْدُ للهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى**﴾ النمل:59

أمر بقول الحمد لله + سلام على المصطفين.

لهذا عندما نقرأ لفظة "عليه السلام" بعد ذكر أحد أهل البيت عليهم السلام، في الكتب كصحيح البخاري أو مسلم، فهم يقولون لنا أن هؤلاء من ضمن "المصطفين". وعليه، فإن "الرضوان" عنهم تحصيل حاصل ومستمر أبداً.

(5) الدقة القرآنية باستخدام "التبعيض"

لأن آيات بيعة الرضوان التالية فيها "التبعيض" أي "عدم التعميم" الذي لا يلتفت إليه الكثيرون، لأضرب مثلاً عن هذا الاستخدام القرآني.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح: 29

وصف الصحابة بـ "والذين معه"، لأن لفظة "الصحابة" لم ترد في القرآن.

يصف حالتهم المجموعية بالشدة على الكفار والتراحم بينهم، وعبادة الله من أجل فضله ورضوانه، وأثر السجود، وحالتهم هذه تشبه المذكورين فيمن قبلهم: نشوء نبتة قامت فقويت حتى صارت مما يغيظ الكافرين برسالات السماء.

فهي حالة وصفها جميل في الاتجاه الإيجابي للدين وقوته مقابل الكفر.

ثم يأتي "وعد" بالـ "مغفرة + عظيم الأجر"،

ولكننا نفاجأ أن الوعد ليس عاماً لـ "الذين معه"، ولكنه لمن تحققت فيهم خصلتان: آمنوا + عملوا الصالحات.

كيف عرفنا؟

من مفردة صغيرة ﴿**منهم**﴾!

"من" أولئك ﴿**الذين معه**﴾.

هذا يشير إلى قضية غاية في الأهمية:

لا يغرنكم التعامل الجيد بين المجموعة، ولا العبادة الكثيرة، حتى لو تحققت فيها الإيجابيات، لأن شرط المغفرة والأجر العظيم هو "الإيمان + العمل الصالح".

(6) بيعة الرضوان

﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْـمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا**﴾ الفتح: 18

(أ) الخطاب عن المؤمنين، وبالتالي يذكرهم بضمير الغائب.

أولاً، ﴿**فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ**﴾ ربما تجمع الرضوان + إنزال السكينة.

ثانياً، الكلمة تشير إلى علم الله بما في قلوب المؤمنين من بين قلوب الموجودين معهم؟

فلو حذفت هذه الكلمات يقترب المعنى مما يذهبون إليه أن الرضوان أنزل على الجميع. فإذا قرأت الآية بدونها: "لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً" لا تجد فرقاً كبيراً، وبالتالي لا بد أن يكون هناك فائدة منها.

والآية تربط إنزال السكينة بعلم الله بما في قلوب المؤمنين، وبالتالي فإن الذين لم يكونوا من المؤمنين تركهم في اهتزازهم ولم ينزل عليهم السكينة.

أما لماذا إنزال السكينة على المؤمنين، فتوضحه الآية:

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْـمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ الفتح: 4

العقيدة الإسلامية أن الإيمان يزيد وينقص في الأحوال والأفعال المختلفة. هؤلاء إيمانهم أورثهم القبول من الله فاستحقوا زيادة الإيمان.

(ب) عبد الله بن أبي من المبايعين

ذكر المؤرخون أن "عبد الله بن أبي بن سلول" كان من "المبايعين" بعد أن رجاه ابنه **"يا أبت أذكرك الله أن لا تفضحنا في كل موطن"**، فقام بالمبايعة و " فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك رضي عنه وأثنى عليه"[1].

إذاً، من يسمونه رأس النفاق كان من الذين بايعوا، فلا يمكن القول أن جميع من بايع تحت الشجرة من المؤمنين، وصار ممكناً أن يكونوا أكثرية أو أقلية من 1400–1500 صحابي بايعوا[2].

فإن قالوا أن ابن أبي كان مؤمناً في تلك الساعة ثم عاد إلى النفاق، قلنا أن هذا يشمل غيره، وهو ممكن بلحاظ أحاديث الحوض وغيرها.

وإن قالوا بأنه لا يُعَدّ مؤمناً لأنه معروف النفاق، قلنا أن نفاقه رواه المحدثون والمؤرخون، بينما لم يرو عن غيره إلا قليل، فالنفاق أمر قلبي، لهذا صلى ﷺ عليه بعد وفاته، كما أنه أملى على حذيفة أسماء المنافقين، فلم يكن وحده.

(ت) كان بعض الصحابة معترضين معاندين غير مطيعين للنبي ﷺ:

روى الواقدي[3] أن أحد الصحابة قال: **"إرتبتُ ارتياباً لم أرتبه منذ أسلمت إلا يومئذ! وراجعتُ النبي ﷺ يومئذ مراجعة ما راجعته مثلها قط، ولو وجدت ذلك اليوم شيعة أخرج عنهم رغبة عن القضية لخرجت!"** أراد تخريب الاتفاق!

ومنهم من رفضوا عن طريق عدم حلق الرؤوس حيث أمرهم ﷺ[4].

"قال النبي ﷺ: ‹‹يرحم الله المحلقين›› قالوا: والمقصرين يا رسول الله، ثم أعادها مرتين وهم يعيدون، فسألوه، فقال: ‹‹لأنهم لم يشكّوا››"[5].

أي أن ذلك الرفض كان "شكّاً" منهم بالنبوة نفسها!

وتجاوز بعضهم بالتضجر غير المجامل لمقام النبوة، فبعد أن قرأ ﷺ عليهم سورة الفتح "**قال رجل من أصحابه: أَوَ فتح هو؟! قال ﷺ: ‹‹إي والذي نفسي بيده إنه لفتح››**"[6].

(ث) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الفتح: 10

خطاب إليه ﷺ بخصوص الذين كانوا معه، وتحديد الوجهتين: النكث أو الوفاء، دون تخصيصها لأنه من الواضح أن من ينكث لا يعد من المؤمنين بينما من يوفي من المؤمنين. وهذه حالة تمتد بامتداد العمر لإمكانية أن يكفر الإنسان بعد الإيمان كما يمكن أن يؤمن بعد كفره، أو يكون بإضمار فيكون منافقاً.

الخلاصة: أن آيات سورة الفتح تميز بدقة بين المواقف، في الحال الحاضر لنزولها، وما بعدها. فكان "المبايعون" ما بين مسلّم للنبي ﷺ ومعترض ومتضجر وشاك ومحاول لتخريب الاتفاق ومنافق. فمن يريد مساواة الجميع فيقول أن الله رضي عن الصحابة كلهم لأنه رضي عنهم في بيعة الرضوان لم يقرأ القرآن ولا السيرة ولا الحديث ولم يحترم بديهيات البحث والاستنتاج.

وبوجود مثل الذين "لم ينزل الله السكينة عليهم" لا تنسوا عظم موقف "المؤمنين" الذين **﴿عَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾** – رضوان الله عليهم.

(7) الانطلاق بالفهم من القرآن

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلله جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا. لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ الله فَوْزًا عَظِيمًا. وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِالله ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءتْ مَصِيرًا. وَلله جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. لِتُؤْمِنُوا بِالله وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ الفتح: 4-9.

فانظروا:

فرق في النتيجة بين المؤمنين والمؤمنات، والمنافقين والمنافقات "الظانين بالله ظن السوء".

إشارة إلى "جنود السماوات الأرض" ربما ليلفت إلى الذين يقومون بإنزال السكينة أو الذين يكتبون أعمال الفريقين.

يلفت إلى صفاته ﷺ: "الشاهد" على الجميع + "المبشر" للمحسنين + "النذير" خصوصاً للفاشلين.

يلفت – ويا لروعة هذا الكتاب – إلى قضية "عدم احترام النبي ﷺ من قبل بعض المعترضين" في الواجب المؤكد ﴿**تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ**﴾ = تحترمونه وتجلونه شخصاً ومقاماً.

بهذا، نعلم أن "بيعة الرضوان" فيها:

إيمان + نفاق + ظن السوء بالله + غيبيات الفعل الإلهي + الإيمان بالنبوة + إحترام مقام النبوة

كي نذهب إلى كتب الحديث والتفسير والتاريخ ونحن مسلحون بالإطار القرآني، فنعرض ما نقرؤها فيها على الآيات وليس العكس، فنعلم أن التي تطابق القرآن احتمال صدقها كبير، وأما التي تبقي الصورة الوردية التي تهوى وأي شائبة "براس ابن سلول" نعلم أنها كاذبة.

نقرأ، ونتدبر، وبدقة، وإلا فإننا نقرأ مجلة فيها بعض المواعظ والقصص.

[1] السيرة الحلبية ج3 ص26

[2] الطبقات الكبرى لابن سعد ج2 ص95-105

[3] المغازي ج2 ص607

[4] البداية والنهاية ج4 ص169 وطبقات ابن سعد ج2 ص104، ومسند أحمد ج3 ص89

[5] مسند أحمد ج1 ص353، وتاريخ الطبري ج2 ص627، والبداية والنهاية ج4 ص169

[6] صحيح البخاري بحاشية السندي ج2 ص206، وطبقات ابن سعد ج2 ص105

الفصل الخامس

وماذا عن "السابقون الأولون"؟

آية في سورة التوبة تذكر صنفاً من الصحابة "السابقون الأولون"، وهي من الآيات التي فيها عبارة "رضي الله عنهم" سأتناولها بالتدبر السريع. قبلها أنظر في آيات أخرى تذكر "المهاجرين والأنصار" بالثناء العظيم، لأنها مرتبطة بـ "الإفراط" و "التفريط"، ثم أعرج على آية تعرف "المؤمنون" بشكل حصري. بعدها آية "السابقون الأولون" لأنهم جماعة من "المهاجرين والأنصار".

(1) المهاجرون والأنصار عموماً

(أ) المهاجرون والأنصار

﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ الأنفال:7

هل هناك أعظم من أن يوصف الإنسان أنه ليس فقط من "المؤمنين" ولكن من "المؤمنين حقاً"، أي تحققت فيهم صفة الإيمان كما ينبغي؟

من هم هؤلاء؟

جماعتان:

الأولى = الذين آمنوا + هاجروا + جاهدوا

الثانية = الذين أووا + نصروا

تجد الفارق بين الاثنتين: الأولى هي المسلمون المهاجرون المجاهدون، والثانية هي الملجأ الناصر، فلم يحتج أن يصف الأنصار بصفة الإسلام لأنها بديهية بعد أن وجدناهم يفتحون مدينتهم لتكون الملجأ ومنطلق النصرة.

ونلحظ أن الجائزة = مغفرة + رزق كريم

في دقة قرآنية، فلم يقل "المغفرة"، أو الرب "الغفّار" مثلاً، لتكون أكبر؛

السبب؟

هناك شروط أخرى يجب تحققها لتأتي بما هو أعظم من هذه الجائزة (كما في 2 أدناه).

(ب) المهاجرون

﴿لِلْفُقَرَاء الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحشر: 8

الآيات 8-10 من سورة الحشر...

أولاها تتحدث عن "الفقراء المهاجرين"، فهؤلاء "مهاجرون+فقراء" وبالتالي فإن ترتيب أحوالهم بعد أن "أخرجوا من ديارهم وأموالهم" أصعب من غيرهم، مع ذلك "ينصرون الله ورسوله"، فجاء نعتهم "الصادقون".

(ت) الأنصار

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: 9

ثانيها، تصف الأنصار بأوصاف لم يصف الله بها جماعة أخرى من الناس، سأعرضها في الفصل التاسع، فيكفي هنا الالتفات إلى صفة **﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾**:

هذا "الحب" حب حقيقي، لأن القرآن يعني كل حرف منه، بينما لم نجده يصف به "المهاجرين" مع أنهم شاركوا "الأنصار" كل شيء في مدينتهم وبيوتهم وأعمالهم وحياتهم كلها؛

مع الأوصاف الأخرى من "سلامة الصدر" + "الإيثار حتى مع الحاجة" نالوا الدرجة العليا **﴿فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**،

هنا فارق ملحوظ بين:

"الصادقون" – تأكيد على صدق الحالة الدنيوية، ولكنه ساكت عن الحالة الأخروية

"المفلحون" – وصف للحالة الأخروية التي يتطلع إليها كل مؤمن.

(ث) التابعون فما بعدهم

﴿وَالَّذِينَ جَاؤُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الحشر: 10

ثالثها، جميع من دخل الإسلام بعد المهاجرين والأنصار، زمنياً، لأن السياق يدل عليه (**﴿تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾** زمنياً)،

يتعاملون مع من سبقهم بالمحبة، بحيث يتوجهون بالدعاء:

لهم بالمغفرة

لأنفسهم بالمغفرة + سلامة الصدر من الحقد

هكذا ينبغي أن يكون عليه المؤمن الحقيقي، لأنه لا ينظر إلى الدنيا إلا بما يتعلق بالله، فما لقلبه والانشغال بالحقد والبغض؟

فإن قيل: ماذا عن "البراءة" من أعداء الله؟

قلت: "البراءة" = الابتعاد عن أقوالهم وأفعالهم وعدم الاصطفاف معهم، أما البغض فأين يجد له مكاناً في قلب امتلأ بحب الله وأوليائه؟

(2) من هم "المؤمنون"؟

الآن، إعرض الآيات أعلاه على قوله تعالى

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ الحجرات: 15

تجد ما يلي:

- **﴿إِنَّمَا﴾** أداة حصر تعني أن ما بعدها هو الوحيد الذي يحمل الحالة أو الصفة في التعبير، وعليه فإن هؤلاء هم وحدهم يحملون صفة "المؤمنون" (أحياناً "إنما" تأتي للمبالغة للإشعار بأهمية الموضوع)

- فما هي هذه الصفات؟

الإيمان بالله ورسوله ﷺ + عدم الشك + الجهاد بالمال والنفس

- فما هي حقيقتهم؟

﴿الصَّادِقُونَ﴾ في ادعائهم الإيمان.

وعليه، فإن الآيات قبلها، يستحق المشمولون بها من المهاجرين والأنصار ذلك الثناء العظيم، ولكن بالشروط المحصورة هنا (الإيمان بالله ورسوله ﷺ + عدم الشك + الجهاد بالمال والنفس)؛

فمن في إيمانه اهتزاز (كما في بعض الذين بايعوا تحت الشجرة)، أو تعرض للشك (كما في بعضهم أيضاً)، ومن كانوا أبعد فأبعد (كما في الذين صاروا يطعنون بوعد الله في معركة الأحزاب)، ناهيك عن الذين يبخلون عن الجهاد بالمال، أو الذين ينكصون عن الجهاد في النفس (كما في الهروب من القتال في أحد وحنين)، كل هؤلاء ليسوا من "الصادقين" في تلك المواقف. فإن تخلصوا مما في دواخلهم من ضعف، فإنهم يدخلون في زمرة "الصادقين".

فلا الحكم "مع" نهائي ولا الحكم "بالضد" نهائي.

فلا ينبغي "الإفراط في الثناء" ولا "الإفراط في الذم".

(3) "السابقون الأولون"

﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ التوبة:100

(أ) هذه الآية المباركة تتعلق بصنف من أعظم الأصناف في الإسلام، لهذا فإن جزاءه هو الجزاء العظيم، وهو:

ليس فقط ﴿**رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ**﴾ لدخولهم الدين ثم نجاحهم في الاختبار،

ولكن أيضاً ﴿**وَرَضُواْ عَنْهُ**﴾ أي رضوا عن جزائه بأنواع الكرامة في جنات النعيم.

وهذه مما أعده لهم ﴿**جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾، مع الانتباه إلى كلمة "أبداً"، لأن الوعد أحياناً بالخلود دونها، فلعلها للتأكيد علة دوام العطاء العظيم، الذي يصفه بأنه ﴿**الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾.

(ب) ولكن هناك عدم دقة في الفهم، حيث يعتقد الكثيرون، وربما الأكثر

أن الموصوفين = جميع المهاجرين السابقين الأولين + جميع الأنصار السابقين الأولين + جميع التابعين لهم بإحسان

وهو غير صحيح، بلحاظ:

(أولاً) هناك "تبعيض" لأنه يقول ﴿**مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ**﴾، و "من" = بعض

أي، المشمولون = بعض المهاجرين السابقين الأولين + بعض الأنصار السابقين الأولين + بعض التابعين لهم بإحسان

(ثانياً) معنى ﴿**السَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ**﴾ ليس السبق الزمني، وإلا لكان عندنا مشكلة مع غير السابقين من المهاجرين والأنصار – لماذا هؤلاء لم تذكرهم الآية وعبرتهم إلى التابعين؟

أعني، لماذا يجازي الله السابقين الأولين + التابعين بإحسان ولا يضم الجزاء المهاجرين (غير السابقين) الذين هاجروا بعد السابقين والأنصار (غير السابقين) الذين أسلموا بعد الأنصار السابقين؟

فما معنى "السبق" إذاً؟

إنه "السبق في نوعية الإيمان والعمل الصالح" وليس زمان وقوعه، لأنك تعلم أن زيداً يمكن أن يؤمن ويبقى إيمانه عادياً أو ضعيفاً، ويؤمن عمرو بعده بسنوات ويكون إيمانه قوياً. فإذا ما أضفت العمل الصالح إلى المعادلة إزدادت الأنواع، ثم نوعية العمل الصالح، ثم درجة خلوص النية، ثم الظروف المحيطة بالشخص عند القيام أو عدم القيام بالعمل الصالح، هذا يزيد الأنواع كثيراً حسب حساب الاحتمالات.

(ثالثاً) هناك وصف هؤلاء "السابقين" بكلمة ﴿**الأَوَّلُونَ**﴾، وهذا تخصيص أشد لمعنى "السبق"، فتكون "النوعية الأولى الأعلى من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان".

فإن اعترض معترض:

لماذا لا يكون المعنى "السبق الزمني" فيكون المشمولون بهذا الرضوان والفوز العظيم هم "بعض المهاجرين الذين هاجروا في البداية + بعض الأنصار الذين نصروا في البداية"؟

نعم، هذا يحافظ على "التبعيض" الذي لا بد منه، ولكن تبقى مشكلة الزمن:

هل أن الذين هاجروا أول 3 أشهر مثلاً هم المقصودون + الأنصار الذين بايعوا بيعتي العقبة؟

أو ربما من الأنصار فقط الذين بايعوا بيعة العقبة الأولى؟

كيف يمكن تحديد هذا؟

وحتى لو تم تحديده، فإن الإشكال في (أولاً) عن "حذف" المهاجرين والأنصار من غير السابقين مع "ضم" التابعين المتأخرين زمنياً عنهم يبقى على حاله دون حل.

وعليه، المعنى الذي يجيب على سائر الإشكالات هو أن "السبق" في "نوعية" الهجرة والنصرة والاتباع بإحسان.

وهذا المعنى هو المنطقي إذا لاحظنا الآيات القرآنية الكثيرة التي تمدح جماعة هنا وتذم جماعة هناك، وتعلن التوبة عن جماعة هنا، وتحكم بالخسران على جماعة هناك.

(رابعاً) إن التطبيق على أرض الواقع يثبت دون أدنى شك أن مواقف البعض من السابقين زمنياً من المهاجرين والأنصار الأولين تباينت تبايناً شديداً كما أسلفت في بحث "بيعة الشجرة" وكما في الآيات التي فصلت فيها "أنواع الناس في العهد النبوي".

فنعلم إذاً:

عظم الذين "سبقوا بنوعية الإيمان والعمل الصالح" من خلوص النية وبذل الجهود تلو الجهود، ففازوا بالقدح المعلى من رضوان الله عليهم ورضوانهم على عطائه الكريم.

(خامساً) فائدة لنا جميعاً:

هذا الفهم – السبق النوعي وليس الزمني – يفتح الآفاق أمامنا لنتصاعد في "نوعية" إيماننا و "نوعية" الأعمال الصالحة في طاعة الله ورسوله ﷺ واتباعه، عسى أن نكتب في "السابقين"، وأحسن منه "السابقين الأولين" – وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

الفصل السادس

إضاءات أخرى على "الرضوان"

(1) "رضي الله عنهم ورضوا عنه"

ينبغي للمؤمن أن "يرضى عن الله" في جميع أحواله في الدنيا فيكون ممن "رضوا عنه"، ولكن العبارة القرآنية تتعلق بـ "الرضا عن الثواب الأخروي".

وهذا جاء نتيجة رضا الله تعالى "رضي الله عنهم"،

وهو رضوان لا يعطف عليه "ورضوا عنه" دائماً، وعليه فعندما تأتي "ورضوا عنه" فإنها تلفتنا إلى عظمة الثواب الذي ناله هؤلاء في الآخرة.

نتناول موضعين من هذه فيما يلي.

(2) "رضي الله عنهم ورضوا عنه" للصادقين

﴿قَالَ اللهُ هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

المائدة:119

موقفه الموصوف ﴿الصَّادِقِينَ﴾

نتج عنه ﴿رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ﴾

ولكن مع الثواب ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ بحيث هم ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾.

وهناك لفتة قرآنية جميلة في قوله ﴿هَذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾

فإنها "الآخرة" التي ينتفع الصادقون بصدقهم في الدنيا، لأن في الدنيا لا ينتفع الصادقون بصدقهم عموماً!

(3) "رضي الله عنهم ورضوا عنه" في سورة البينة

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ. جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ البينة:7-8

(أ) المعنى العام

الآية 8 تحمل عبارة ﴿رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾، في تقرير "رضوان الله" + "رضاهم بالجزاء" وهو ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾

(ب) لماذا هؤلاء "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" نالوا منزلة "المرضي الراضي"؟

لا بد أن هذا "الإيمان + العمل الصالح" له ميزة أو ميزات على غيره.

فكيف نتبينه؟

(أولاً) العرض على آيات أخرى مطابقة اللفظ:

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الكَبِيرُ. ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ الشورى:22-23

هؤلاء **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** هنا **﴿فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُم مَّا يَشَاؤُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾**

ثم يكرر المولى عز وجل تعبير **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** في الآية بعدها، مصدّراً بأن ما قبلها من روضات الجنات والعطاء اللامحدود - لأنه كما يشاءون – والذي يصفه بـ **﴿الْفَضْلُ الكَبِيرُ﴾**، هو بشارة **﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ﴾**.

من هم؟

﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾،

فما الذي فعلوه ليستحقوا هذا العطاء لهذا الوصف؟

مؤكد أنه يتعلق بما بعدها مباشرة في نفس الآية، وهو ﴿**الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾،

فهذه "الاستجابة" لقول النبي ﷺ بأمر الله تعالى ﴿**قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ هي "الحسنة" في قوله ﴿**وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً**﴾.

ولكنها ليست كأي "حسنة"، بل هي مما يتفضل الله عليها بتجميلها ﴿**نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**﴾،

لأن ﴿**اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ**﴾،

أي = "يغفر" لمن اقترفها ذنوبه + "يشكر" له هذا الفعل.

وعليه:

فلا بد أن هذه المنزلة السامية لهؤلاء الذين وصفوا بوصف "الذين آمنوا وعملوا الصالحات"، المستخدم في مواقع كثيرة في القرآن، كانت لأن "إيمانهم + عملهم الصالح" هو الآخر بمنزلة "تسمو على غيره" ممن "آمنوا وعملوا الصالحات"؛

وبما أنه متعلق بـ "مودة القربى" والتي نعلم علم اليقين بالمشاهدة التاريخية المستمرة أنها مما لم يتم الاستجابة إليها كما يجب، بل ولا ربع أو عشر ما يجب، فإن الذي يقوم بها أو "يقترفها"، خصوصاً وقد تعرض إلى جميع أشكال الظلم من أجلها وبسببها،لا بد أن يستحق أجراً يوفيها حقها من الحكم العدل سبحانه؛ فإن "الغـُـنـْم على قدر الغـُرم".

(ثانياً) مفردتان مشتركتان:

في آية المائدة وآية البينة

1/ ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ هم متعلق الفعل والثواب

2/ ﴿**أَبَدًا**﴾ عند وصف الخلود ﴿**جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾

وهذه لا ترد أحياناً أخرى مع "خالدين فيها"، فكأنها للتأكيد على الخلود غير المنقطع لأن العمل في الدنيا استحق منهم أعلى درجات العطاء الأخروي.

(ثالثاً) ومفردتان مختلفتان غاية في الأهمية:

1/ ﴿**أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾

ما أعظم هذا الوصف: "خير البرية" / هؤلاء هم "خير الخلق"!

فكيف يكون هؤلاء ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ هم "خير الخلق" بينما لم يوصف هؤلاء في أي موضع آخر جاءت به عبارة "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" بهذا الوصف الفريد الذي يسمو بهم على غيرهم؟

كيف يكون هذا لو لم يكون متعلق "الإيمان" من جهة + نوعية "العمل الصالح" من التميز بحيث استحقوا معه هذه الدرجة العليا؟

هذا وجدناه في "اقتراف الحسنة في المودة المتكاملة للقربى".

كما نجده في المفردة المشتركة الثانية –

2/ ﴿**ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾

﴿**أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾ الوصف العظيم، و ﴿**جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا**﴾ الجزاء العظيم، من يستحقه؟

﴿**مَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾

ولكن أليس ﴿**مَنْ خَشِيَ رَبَّهُ**﴾ متحققة في الكثيرين؟

نعم، ولكن هناك، كما في غيره:

- موضوع الخشية

- درجة الخشية

- الظروف التي وقعت تحتها حالة الخشية

ولا شك في أن "الخشية" وهي "مودة القربى بشقيها العاطفي والخارجي" أشد حملاً بكثير من "مودة القربى بشقها العاطفي" لأن "العاطفي" محله القلب ويمكن إخفاؤه، بينما "الخارجي" واضح يعرض صاحبه للتنكيل والاضطهاد.

ثم هناك نقطة مهمة –

في مفردة ﴿رَبَّهُ﴾

فهو خشي "الرب" المنعم بنعمه التي لا تحصى، وفي مقدمتها التوفيق إلى "مودة القربى". شعر بها، لم يغفل عنها، شكرها بحسن الاتباع، فكتب عند الله في عداد "من خشي ربه".

(رابعاً) الاستماع إلى الذي أنزلت عليه الآيات:

بعد ذلك، تأتي المرجعية الرسولية، فإن الذي أنزلت عليه هذه الآيات أعلم بها من سواه، فلا نتطفل عليها دون أن نستمع إليه ﷺ.

روى السيوطي[1] الأحاديث –

منها عن جابر بن عبد الله قال: **"كنا عند النبي (صلى الله عليه وسلم) فأقبل عليّ فقال النبي (صلى الله عليه وسلم): ‹‹والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة›› ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم**

خَيرُ البَرِيَّةِ﴾ فكان أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) إذا أقبل عليّ قالوا: جاء خير البرية".

ومنها ما أخرجه ابن عدي وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعاً قوله ﷺ: **‹‹عليٌ خير البرية››.**

ومنها ما أخرجه ابن عدي عن ابن عباس أيضاً قال: **"لما نزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيرُ البَرِيَّةِ﴾ قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعليّ: ‹‹هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين››".**

ومنها ما أخرجه ابن مردويه عن علي قال: **‹‹قال لي رسول الله (صلى الله عليه وسلم): ألم تسمع قول الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيرُ البَرِيَّةِ﴾؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض إذا جثت الأمم للحساب تدعون غـرّاً محجّـلين››.**

(خامساً) الاستماع إلى "أولي الأمر":

الذين أمرنا القرآن بطاعتهم

خطب الحسن بن علي عليه السلام فقال: **‹‹أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم، فقال: ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إلاّ الـمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ واقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت››**[2].

(4) أين الصحابة من هذا؟

إنهم في الواجهة من هذه الآيات المباركات – كيف؟

(أ) كانوا في مواقفهم منها ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: أطاع وأصر على "اقتراف الحسنة" كما ينبغي – بشقيها العاطفي القلبي والخارجي القيادي، فظلوا يذكّرون الأمة، كما فعل أبو ذر (رض)، الذي وقف في المسجد يقول: **"فما بالكم أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها؟! لو قدّمتم من قدّم الله، وخلـّفتم الولاية لمن خلـّفها له النبي، والله لما عال وليّ الله ولا اختلف اثنان في حكم الله، ولا سقط سهمٌ من فرائض الله، ولا تنازعت هذه الأمة في شيء من أمر دينها إلا وجدتم علم ذلك عند أهل بيت نبيكم"**[3].

الصنف الثاني: رفض "اقتراف الحسنة" بشقها الخارجي القيادي، مبررين موقفهم أن قريش **"كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة"**[4]، فقالوا: نحبهم وكفى.

الصنف الثالث: وهم أكثر الصحابة، بقي ساكتاً خاضعاً لمن غلب.

وهكذا، بقيت لمن غلب.

(ب) ولإنهم كانوا أطراف الصراع في "لمن غلب":

حذرهم النبي ﷺ عندما أخبرهم بخشيته عليهم:

«... أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»[5]!

وروي أنه ﷺ قال في آخر خطبة على المنبر: «**إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها فتقتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم**»[6]!

[1] الدر المنثور ج6 ص379

[2] الطبراني المعجم الأوسط ج2 ص336، والحاكم في المستدرك ج3 ص172

[3] روي هذا القول عن أبي ذر (رض) وهو آخذ بحلقة باب الكعبة المعظمة: "**أيها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فسانبئه بإسمي: فأنا جندب أبوذر الغفاريي**" ثم قال: "**ألا أيتها الأمة المتحيرة بعد نبيها، لو قدمتم من قدم الله، وأخرتم من أخر الله، وجعلتم الولاية حيث جعلها الله لما عال ولي الله، ولما ضاع فرض من فرائض الله، ولا اختلف اثنان في حكم من أحكام الله... فذوقوا وبال ما كسبتم**" بحار الأنوار للمجلسي ج27 ص319 (وروي أنه من قول الإمام علي عليه السلام، "الكافي" للكليني ج7 ص78).

[4] هو قول الخليفة عمر بن الخطاب، مروي عن ابن عباس في تاريخ الطبري ج3 ص288، وعن ابنه عبد الله بن عمر في شرح نهج البلاغة ج6 ص50.

[5] صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق ج4 ص2274

[6] صحيح البخاري ج4 ص1486 الحديث 3816 و ج5 ص2408 الحديث 6218، والسنن الكبرى للبيهقي ج4 ص14

الفصل السابع

مؤامرة العقبة

حاجة المفسر إلى الحديث والتاريخ

كم من المسلمين سمع بـ "مؤامرة العقبة"؟ بل كم من طلبة العلوم الدينية والعلماء، من سمع بها؟ وما هي؟ وما هدفها؟ وأين ذكرت في القرآن ؟

فائدة هذا المثال هو التعريف:

1. بوجود عظائم في تاريخ العهد النبوي تم التعتيم عليها من أجل "كرامة الصحابة"

2. بأن بعض الصحابة لم يكونوا ليتوقفوا عند حد

3. بحاجة المفسر إلى الروايات الحديثية والتاريخية.

فهذه تختلف عن مثال سورة الجمعة، ومثال التصدق عند النجوى، فهما مثالان يثبتان الخلل من الآيات نفسها، أما هذه فتحتاج إلى الروايات التي أخبرتنا عنها.

مؤامرة العقبة في القرآن

ذكرنا أن الصحابة كانوا عدة أصناف، منهم منافقون لا يعلمهم حتى النبي ﷺ، ومنهم كانوا من المؤمنين ثم كفروا؛ بل وارتكبوا المحرمات وبضمنها القتل؛

أكثر من ذلك، وهو ما هموا بفعله مع النبي ﷺ.

﴿يَحْذَرُ الْـمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم قُلِ اسْتَهْزِؤُواْ إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ. وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ. لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ التوبة:64-66

ننظر فيها ثم نذهب إلى الآية 74 المتممة لها.

(الآيات بينها متعلقة بها لأنها تقارن بين المنافقين والمؤمنين، فلتراجع.)

(1) كيف يحذر المنافقون نزول سورة إذا كانوا غير مؤمنين بالقرآن أصلاً؟

الجواب: يحذرون من عقاب النبي ﷺ بعد نزول السورة، حتى لو قالوا أنها من صنعه.

(2) ولكنها تقول ﴿**تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِم**﴾ يخشون من كشف الداخل؟

الجواب: هذا يعني عدم وجود قطع في دواخلهم أن ما يقوله النبي ﷺ كذب.

(3) ولكن حالهم الخارجي هو "الاستهزاء"؛ والله يعدهم بكشف دواخلهم.

(4) عندما سيواجههم ﷺ بما كشفه الله له فإنهم سيتذرعون أنهم "يخوضون ويلعبون".

(5) وهذا عذر يضيف قبحاً آخر، فالآية تقرعهم ﴿**قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ**﴾؛

فنلتفت إلى:

– أنها من آيات "قل"، الله يشدد على أن ما سيقوله ﷺ هو من أمره تعالى ليعطي الكلام حسماً أكبر

– الجواب المأمور به يجعل "الاستهزاء شاملاً لله+الآيات+الرسول"، وهذا يؤكد أن ما كانوا فيه كان يشمل الرسالة كلها.

(6) ولكن اعتذارهم مردود ﴿**لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾، وسبب رفض اعتذارهم لأنهم "كفروا" بعد "إيمانهم"، وهذه في غاية

الأهمية، لأنها تعني أنهم لم يكونوا من المنافقين الذين لم يؤمنوا من قبل، ولكن "آمنوا" من قبل "ثم كفروا".

والكفر بعد الإيمان يحصل قطعاً بإخبار القرآن عن وجوده في الناس ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ آمَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ازْدَادُواْ كُفْرًا**﴾[1]. وهذا يقوي الجواب على الإشكال الأول أنه في داخلهم ربما كان هناك باقية من تصديق النبي ﷺ.

(7) ولكن لماذا ﴿**إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ**﴾ مع أنهم جميعاً في الذنب سواء؟

الجواب: يمكن لأن "الطائفة الأولى" معذورة، لم تكن على علم بحقيقة الأمر؛

لا سيما أن عذاب "الطائفة الأخرى" لأنهم ﴿**كَانُواْ مُجْرِمِينَ**﴾.

و"العفو" غير "المغفرة من الله"، فيمكن أن يكون العفو من النبي ﷺ.

إذاً:

الآيات تتحدث عن قضية اشترك فيها مجموعة من المسلمين كانوا مؤمنين ثم كفروا، وهي من الفضاعة بحيث أنهم لن يجدوا رداً سوى القول أنهم كانوا يلعبون، ومن الفضاعة بحيث أن الله يسمي القضية استهزاء بالإسلام كله.

(8) والآن ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّـهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَـهُمْ فِي الأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ**﴾ التوبة:74

(9) أقسموا وهم يكذبون ﴿**يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ الْكُفْرِ**﴾.

(10) لماذا قال ﴿**وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ**﴾ هنا بعد ﴿**كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ**﴾ الآية 66؟

هذه من دقائق القرآن:

الأولى كانت مواجهة النبي ﷺ لهم، فلا يستطيع اتهامهم بالخروج عن الإسلام ولكنهم خرجوا بفعلهم عن الإيمان؛ في حين أن آية 74 من قول الله العالم بسرائرهم فيخبرنا أنهم خرجوا من الإسلام.

(11) الفعل خارجي فشلوا في تحقيقه ﴿**وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ**﴾.

(12) وبالتالي فإن "قولهم كلمة الكفر" يُجمع مع "همهم بما لم ينالوا" ما يقطع أن القضية لم تكن مجرد "أقوال".

(13) ثم تقرعهم بقوة ﴿**وَمَا نَقَمُواْ إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِن فَضْلِهِ**﴾

فبدلاً من أن يصبحوا أكثر حباً ودفاعاً عنه ﷺ والدين الذي جاءهم بالفضل العظيم إذا بهم يفعلون الضد من ذلك.

(وهناك ملاحظة أن "الله تعالى يشرك الرسول ﷺ بالفضل مع الله تعالى" مع أن الفضل في الواقع هو من الله فقط، ولكنه يريد أن يقول لنا أن لا ننسى أن لرسول الله ﷺ فضلاً في أعناقنا لأنه ﷺ (أولاً) كان السفير من الله إلينا (ثانياً) لأنه لم يألُ جهداً من أجل البلاغ.)

(14) آخرها فتح باب التوبة، مع أن ﴿**فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا**﴾ لا تعد بقبولها قطعاً؛

وهذا يفتح احتمال: إن تابوا عن مثل هذا الفعل فإنهم يتجنبون العقوبة الدنيوية ولم يقل "يتوب الله عليهم"، ولكنهم بدواخلهم التي فسدت بالكفر لا يتجنبون عذاب الآخرة.

فماذا قالت الروايات التفسيرية؟

بعض الروايات غير الموافقة للنص القرآني

هذه الآيات تصف الحال، ولكنها غير واضحة في الفعل والفاعلين، لذلك لا بد من البحث في الروايات التفسيرية.

طبعاً، مثل هكذا مجرمين سيجدون من يقوم بالدفاع عنهم فهذا هو الشيطان وأولياؤه الكبار. لو راجعتم الأسباب التي رووها للتغطية على الجريمة فستجدونها جميعها لا تصلح، من قبيل:

فحول الآيات الأولى روايات

منها: أن المنافقين استهزءوا ببشارة النبي ﷺ بفتح قصور الشام، فأطلع الله النبي ﷺ على كلامهم وواجههم.

ومنها: أن بعض المنافقين كانوا يضحكون بينما النبي ﷺ يتكلم فدعا عمار بن ياسر وشكا إليه استهزاءهم.

(لا بد أن تتضمن القصص عمار لأنه أحد شهود القصة الأصلية!)

ومنها: أن رجلاً رمى النبي ﷺ وأصحابه بالجبن والكذب، فنزل جبريل عليه السلام وعند المواجهة مع النبي ﷺ قال أنه كان يخوض ويلعب[2].

وأما آية ﴿يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُواْ﴾ فروايات

منها: أن المنافقين كانوا في الخلوة يسبون النبي ﷺ ويطعنون في الدين، فنقله حذيفة فواجههم النبي ﷺ فحلفوا منكرين.

(هنا إشراك حذيفة الشاهد الثاني على المؤامرة!)

ومنها – وهي لطيفة –: أن جلاس بن سويد سمع النبي ﷺ في خطبة تبوك يصف المنافقين بالرجس فقال "لئن كان صادقاً فنحن شر من الحمير" فنقلها شخص إليه ﷺ فواجهه فنفى ذلك[3].

وهذا ديدنهم في تلفيق الروايات التي لا تتفق مطلقاً مع النص القرآني، ولن يفلحوا:

فعقدة الموضوع الكلمتان

– ﴿وَنَلْعَبُ﴾ فإن "اللعب" "فعل مادي خارجي"

– ﴿وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ﴾ "أرادوا" فعل شيء ولكنهم "فشلوا"؛

والآيات تربط الأمرين، ومحصلهما لا ينطبق عليه إلا المؤامرة الرهيبة التي تحدثت عن محاولتهم قتل النبي ﷺ بتنفير ناقته.

الرواية الحقيقية الموافقة للآيات موضع التدبر

من تفسير البغوي (من كبار علماء القرن الخامس الهجري على المذهب الشافعي وصف بأنه كان إماماً في التفسير والحديث والفقه):

"قال ابن كيسان: نزلت هذه الآية في اثني عشر رجلاً من المنافقين، وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع من غزوة تبوك ليفتكوا به إذا

علاها، ومعهم رجل مسلم يخفيهم شأنه، وتنكروا له في ليلة مظلمة، فأخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدروا، وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم، وعمار بن ياسر، يقود برسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته، وحذيفة يسوق به، فقال لحذيفة: ‹‹إضرب وجوه رواحلهم›› فضربها حتى نحاها، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحذيفة: ‹‹من عرفت من القوم؟›› قال: لم أعرف منهم أحداً، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ‹‹فإنهم فلان وفلان حتى عدهم كلهم››، فقال حذيفة: ألا تبعث إليهم فتقتلهم؟ فقال: ‹‹أكره أن تقول العرب لما ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم، بل يكفيناهم الله بالدبيلة››".

وفي رواية أن عمار روى قوله ﷺ: **‹‹إن في أمتي اثني عشر منافقاً لا يدخلون الجنة ولا يجدون ريحها حتى يلج الجمل في سم الخياط، ثمانية منهم تكفيهم الدبيلة، سراج من النار يظهر في أكتافهم، حتى ينجم من صدورهم››**[4].

"وقيل: هم اثنا عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على العقبة في طريق تبوك ليفتكوا برسول الله ﷺ، فجاء جبريل عليه السلام وأمره أن يرسل إليهم من يضرب وجوه رواحلهم ، فأرسل حذيفة لذلك"[5].

إذاً، بالجمع بين هذه الروايات الثلاث: هؤلاء الـ 12 هم أسوأ المنافقين على الإطلاق، لأن النبي ﷺ يفردهم باستحالة دخول الجنة بهذا الشكل. ولا

يكون البعض الأسوأ من بين الكل إلا إذا كان داخله أسوأ من الآخرين أو فعله أسوأ مما فعل الآخرون أو الاثنان معاً؛

فهل هناك أسوأ من محاولة قتله ﷺ؟

المؤامرة

كمنوا في الجبل أعلى من طريق سير الناقة، وعندما يصل النبي ﷺ يقومون بدفع صخور كبيرة كي تنزل وتقتله ﷺ أو تجعل الناقة تنفر بقوة فتسقطه ﷺ عنها إلى الأرض فتأتي عليه الصخور والعياذ بالله. بعدها ينطلقون إلى مواضعهم بين الجيش الذي خرج مع النبي ﷺ إلى تبوك.

ولكن بدلاً من أن يفضحهم الله منذ البداية، فإنه تركهم حتى بدئهم مباشرة الفعل. فعندما وصل النبي ﷺ إلى الموضع المعين، وكان معه عمار وحذيفة (رض) أحدهما يقود الناقة والآخر يسوقها، وبدء المجرمون بدفع الصخور نزل جبريل عليه السلام فأضاء الجبل حتى كشفهم للنبي ﷺ.

بعض الروايات تقول أن النبي ﷺ ناداهم بأسمائهم، وغيرها تقول أنه سأل حذيفة فلما أجابه أنه لم ير وجوههم ولكنه عرفهم من رواحلهم أخبره ﷺ بأسمائهم. وكما سمعتم أن النبي ﷺ لم يقتلهم خشية أن تتحدث العرب أنه يقتل أصحابه ما يسيء إلى الإسلام ككل.

روايات أهل السنة تذكر هؤلاء، كلاً أو بعضاً

منها عن أبي الطفيل قال: **"كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة بعض ما يكون بين الناس، فقال: أنشدك بالله كم كان أصحاب العقبة؟ قال: فقال له القوم: أخبره إذ سألك!"**

يبدو أن الرجل أحجم **"قال: كنا نخبر أنهم أربعة عشر"**.

فقال حذيفة: **"فإن كنت منهم، فقد كان القوم خمسة عشر! وأشهد بالله أن اثني عشر منهم حرب لله ولرسوله في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد"**[6].

والتفريق بين الـ 12 والـ 3 الباقين هو أن الأخيرين اعتذروا ويبدو أن عذرهم كان مقبولاً.

كما في تتمة رواية أبي الطفيل: **"كان بين رجل من أهل العقبة وبين حذيفة ما يكون بين الناس... وعذر ثلاثة؛ قالوا: ما سمعنا منادي رسول الله ﷺ ولا علمنا بما أراد القوم"**[7].

وروى الواقدي[8] عن جابر بن عبد الله: **"قال: تنازع عمّار بن ياسر ورجل من المسلمين في شيء فاستبّا، فلمّا كاد الرجل يعلو عمّاراً في السباب قال عمّار: كم كان أصحاب العقبة؟**

قال: الله أعلم.

قال: أخبرني عن علمكم بهم؟!

فسكت الرجل، فقال من حضر: بيّن لصاحبك ما سألك عنه.

وإنّما يريد عمّار شيئاً قد خفي عليهم، فكره الرجل أن يحدّثه، وأقبل القوم على الرجل فقال الرجل: كنّا نتحدّث أنّهم كانوا أربعة عشر رجلاً.

قال عمّار: فإنّك أن كنت منهم فهم خمسة عشر رجلاً.

فقال الرجل: مهلاً، أذكرك الله أن تفضحني.

فقال عمّار: والله ما سمّيت أحداً، ولكنّي أشهد أن الخمسة عشر رجلاً اثنا عشر منهم حرب لله ولرسوله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ . يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[9]".

أما "الرجل" الذي في الرواية والذي غطوا على اسمه فهو الصحابي الشهير "أبو موسى الأشعري":

روى المحدثون والمؤرخون[10] أن أبا نجاء حكيم قال:

"كنت جالساً مع عمار فجاء أبو موسى فقال: ما لي ولك؟ ألست أخاك؟ قال: ما أدري ولكن سمعت رسول الله يلعنك ليلة الجبل! قال: إنه استغفر لي، قال عمار: قد شهدت اللعن ولم أشهد الاستغفار!"

ولعل في دراسة تاريخ أبي موسى الأشعري، سواء في هذه الحادثة، أو ما بعد النبي ﷺ، ليس فقط حادثة التحكيم الشهيرة بين علي عليه السلام ومعاوية، ما

يشير إلى علاقات الأشعري وطموحاته، فلا يمكن – للمفسر أو المتدبر – أن يهملها عند محاولة فك رموز مثل هذه الحوادث المعتم عليها تعتيماً شديداً.[11]

ولمن يظن أن التغطية على أبي موسى والمجرمين الآخرين ليس سهلاً، أذكره بأمرين:

(الأول) هذه المصادر لم تكتب إلا بعد 200 سنة أو أكثر

(الثاني) روايات أخرى تؤكد ديدنهم في التغطية؛ منها ما أخرجه الإمام أحمد والهيثمي[12] عن أبي مسعود قال:

"خطبنا رسول الله خطبة فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: ‹‹إن فيكم منافقين فمن سمّيت فليقم!››، ثم قال: ‹‹قم يا فلان، قم يا فلان›› حتى سمى ستة وثلاثين رجلاً!..."، فإذا كانت أسماء 36 رجلاً قد تم كتمانها فكيف لا يتم كتمان أسماء 15 رجلاً هموا بأعظم جريمة في التاريخ؟

هذا، ولا سيما وأن الكتمان كم تم اعتماده بطريقة الإشارة إلى الصحابي المعني بكلمة "فلان" بدلاً من اسمه.

مثلاً ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، حيث روى الحادثة حتى قال:

"فقال النبي ﷺ لحذيفة: ‹‹هل عرفت يا حذيفة من هؤلاء الرهط أحداً؟›› قال حذيفة: عرفت راحلة فلان وفلان، وقال : كانت ظلمة الليل

وغشيتهم وهم متلثمون، فقال النبي ﷺ: ‹‹هل علمتم ما كان شأنهم وما أرادوا؟›› قالوا: لا والله يا رسول الله! قال: ‹‹فإنهم مكروا ليسيروا معي حتى إذا طلعت في العقبة طرحوني منها››، قالوا: أفلا تأمر بهم يا رسول الله فنضرب أعناقهم؟ قال: ‹‹أكره أن يتحدث الناس ويقولوا : إن محمداً وضع يده في أصحابه›› فسماهم لهما وقال: ‹‹أكتماهم››"[13].

أهمية حذيفة بن اليمان (رض)

إشتهر الصحابي حذيفة بن اليمـان (رض) أنه صاحب سر رسول الله ﷺ في المنافقين. فقد روى ابن عبـد البرّ[14] في ترجمة حذيفة: **"كان عمر بن الخطّاب يسأله عن المنافقين وهو معروف في الصحابة بصاحب سرّ رسول الله"**.

كما نجد في سيرته أنه كان الذي اختاره النبي ﷺ ليعبر الخندق فيستطلع خبر الأحزاب[15].

كما عرف بشدة مشايعته ونصرته لعلي عليه السلام منذ العهد النبوي وبعده حتى آخر لحظة من حياته حيث أوصى ولديه صفوان وسعيداً بنصرة علي عليه السلام، ففعلا وقاتلا حتى قتلا معه عليه السلام في صفين.[16]

ولكنهم جعلوا الشهرة في معرفة أسماء المنافقين عامة، ولا أدري هل هي كذلك أم أنها كانت مختصة بالمنافقين الذين أرادوا قتل النبي ﷺ في العقبة؟

علاقة المؤامرة بالضلال

إننا نجد في مواقف حذيفة وأقواله ما يمكن الاستفادة منه في هذا الباب. من هذا ما رواه البخاري[17] من قول حذيفة: **"كيف لا يضيع أمر أُمّة محمّـد ﷺ إذا ملك أمرهم من لا يزن عند الله جناح بعوضة".**

وبالتالي فإن القضية تتعلق بخط الضلال الذي يضيع أمة الإسلام. وهو ما عبر عنه صحابي آخر ينتمي إلى نفس الخط الذي يتبعه حذيفة – خط علي بن أبي طالب عليه السلام –، ألا وهو أبي بن كعب (رض) أحد كبار القراء. فلكي لا نقع فريسة إضلال المضلين، فقد حذرنا من هؤلاء:

"هلك أهل العقبة ورب الكعبة" قالها ثلاثاً،

ثم قال: **"هلكوا وأهلكوا؛ والله ما عليهم آسى ولكن آسى على من يهلكون من بعدهم من المسلمين"**[18].

والذي فيه اختلاف يسير عما رواه غيره[19]: **"هلك أهل العقدة ورب الكعبة! ألا لا عليهم آسى، ولكن آسى على من يهلكون من المسلمين!"**

ففي الأول هم أصحاب مؤامرة العقبة، وفي الثاني هم الذين تعاقدوا على أمر ما، إما قتل النبي ﷺ بنفسه في العقبة، أو على الإمارة بعد موته ﷺ؛ بل من الممكن أن الأمرين واحد، لأن تنفيذ "العقد" كان سيبدأ بجريمة "العقبة.

وإلا لماذا يتأسف أبي بن كعب (رض) على "إهلاك الناس" و "إضلالهم" – وهو واحد – لو كان الأمر متعلقاً بالعقبة فإنها فشلت وانتهى الأمر؟[20]

تساؤلات

طالما كانت تلك المؤامرة الرهيبة تتعلق بإضلال الناس فإنه من الواجب التقصي عن الخطوط الفاعلة يومذاك ومن المستفيدين من أجل تجنب السقوط في الضلالة.

فهل أن المنافقين كعبد الله بن أبي مثلاً هو الذي يخشى منه إضلال الناس وإهلاكهم؟

أليس إحجام النبي ﷺ عن قتل المتآمرين دليلاً على أنهم من وجوه الصحابة الذين إذا قتلهم ستقول «**العرب لمّا ظفر بأصحابه أقبل يقتلهم**»؟

ونحن نعلم أنه من أكبر المثالب في القائد – أي قائد – أن يقتل أصحابه القريبين أو المخلصين كما يبدون عند الناس، لهذا نجد أن الحاكم عندما يفعل هذا فإنه هو الذي يذكر كعلامة مميزة لسوء حكمه، وليس قتله لمعارضيه. أي أن مصداقية النبي ﷺ كقائد لهذه المجموعة المسلمة الوليدة ستضعف عند حديثي العهد بالدين أو غيرهم ممن لم يدخل ويؤمل منه الدخول فيه.

ولماذا يذكرون أسماء صحابة لا يكاد سمع بهم أحد وفي نفس الوقت تحجم الروايات الأخرى المتعددة عن ذكرهم فتقول "فلان وفلان" أو "رجل"؟

متى تم الإحجام عن ذكر أمثال عبد الله بن أبي بن سلول كي تحجم الروايات، أو الذين كتبوها في كتبهم، ذكر أشباهه من المنافقين، لا سيما وقد أوشكوا على ارتكاب أفظع جريمة قتل في التاريخ؟

ثم، أليس قولهم أن الذي كان يعرف المتآمرين دون الناس هو حذيفة بن اليمان (رض) يعني أنهم لم يكونوا من المشهورين بالنفاق عند المسلمين؟

بل أن إحدى الروايات قالت بصراحة أن حذيفة استعظم أن يكون من ذكر النبي ﷺ أسماءهم له، لهذا اضطر النبي ﷺ إلى المعجزة فبرقت البرقة التي أضاءت فكشفتهم لحذيفة. وعليه، فإنهم – أو بعضهم على الأقل – ممن كانوا لا يظن بهم الوقوع في تلك الجريمة المروعة.

ومن الملفت للنظر أن الروايات أجمعت على أن اللذين كانا مع النبي ﷺ هما عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان (رض)، بينما لم نجد صحابة كبار قريبين جداً من النبي ﷺ يذكرون في هذه الواقعة.

وهذا سيصبح مما يتوجب النظر فيه لا سيما إذا قالت لنا الروايات أن الله تعالى كان قد أخبر نبيه ﷺ بالمؤامرة فأمر الناس أن يسيروا بعيدين عنه، فلماذا لم يطلب الحماية من غير هذين – عمار وحذيفة –؟

إلفات مهم – بين العقبة وليلة الهجرة

مما يلفت النظر حقاً المفارقة الهائلة من انتشار معرفة المسلمين بمؤامرة قريش لقتل النبي ﷺ ليلة الهجرة مقابل الغياب شبه التام لمعرفتهم بمؤامرة منافقي الصحابة لقتله ﷺ في العقبة.

كيف نفسر اهتمام المسلمين بمؤامرة الكافرين، في مكة، لقتل النبي ﷺ، إلى درجة أن العمل بها يعلمه جميع من له أدنى اطلاع على السيرة النبوية وتاريخ الدين الإسلامي، مع أن المتآمرين كافرون مجاهرون بالعداوة على أنواعها – تكذيب النبي ﷺ ومنعه من نشر دينه، وتعذيب المؤمنين الأولين إلى درجة القتل حتى أمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، وحصار بني هاشم ثلاث سنوات في شعب أبي طالب انتهت بموت العضدين الكريمين أبي طالب وخديجة الكبرى عليها السلام؛

بينما لا يوجد أدنى اهتمام، من العلماء والخطباء والوعاظ والمؤرخين والباحثين، لإخبار الناس عن مؤامرة العقبة، مع أنها من مسلمين يدعون الإيمان، ومن صحابة النبي ﷺ أنفسهم، فهي مؤامرة نفاق وغدر وجريمة من أعظم جرائم التاريخ؟

لم نجد هؤلاء يتسترون على عبد الله بن أبي بن سلول فقالوا أنه هو المعني بقوله تعالى ﴿**يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ**

﴿الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ المنافقون:8، مع أن الآية لم تذكر اسمه؛ ومع أن ابن أبي سلول لم يحاول قتل النبي ﷺ، بل عزم على إخراجه ﷺ من المدينة. بينما مجرمو العقبة كانوا يريدون قتله ﷺ، والآيات لم تسمهم، فلماذ التستر عليهم، تارة "فلان" وأخرى "رجل" وثالثة بالتشويش بروايات أخرى مختلقة؟

ومن شدة حرص المؤرخين وأنصار الصحابة بالجملة، لا سيما الكبار منهم، فإنهم يقومون بأشكال من الدفاع هي في حد ذاتها تدين صحابة آخرين وفي نفس الوقت تفضح أسلوب التستر بطريقة ساقطة مفضوحة هزيلة. خذ هذه الرواية التي تعلن أن هؤلاء الاثني عشر متآمراً "ليس فيهم قرشي" وزادوا عليها "كلهم من الأنصار ومن حلفائهم"![21]

مرة أخرى: الانتصار لقريش وسب الأنصار!

كيف عرفوا هذا إذا كان النبي ﷺ أخبر بها حذيفة وحسب؟!

وإذا كان آخرون علموا بها، فهم ليسوا غير عمار الشاهد الثاني في العقبة، وبعض الصحابة من نفس الخط – أبي بن كعب أحدهم.

هذا أيضاً مما يعضد الرأي أن هؤلاء المتآمرين كانوا من كبار الصحابة الذين يتم الدفاع عنهم بكل طريقة مهما كانت لا تصدق.

ولكن عندها نسأل:

أين غيرة المسلم على نبيه ﷺ؟

هل أن الغيرة على الصحابة – كائناً من كانوا – أشد منها على النبي ﷺ؟!

[1] سورة النساء:137

[2] راجع هذه القصص في تفسير الطبري وتفسير ابن كثير وتفسير القرطبي وغيرها في تفسير هذه الآيات المباركة.

[3] نفس المصادر التفسيرية

[4] تفسير البغوي، تفسير الآيات 62-64 من سورة التوبة

[5] نفسه، وتفاسير القرطبي والبيضاوي والكشاف للزمخشري والكبير للفخر الرازي، تفسير الآية 74 من سورة التوبة

[6] صحيح مسلم كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ج8 ص123، مسند أحمد ج5 ص390-391

[7] صحيح مسلم ج4 ص2144 الحديث 11

[8] المغازي ج2 ص1042

[9] سورة غافر:51-52

[10] أخرجه ابن عدي في الكامل ج2 ص262، وابن عساكر في تاريخ دمشق ج32 ص93، والمتقي في كنز العمال ج13 ص608 الحديث 37554، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند احمد ج5 ص234.

[11] روى ابن سعد في الطبقات ج4 ص112، والطبري في تاريخه ج5 ص332 وغيرهما، عن ابن أبي موسى الأشعري (إسمه أبو بردة) قول معاوية لابنه يزيد: **"إن وليت من أمر الناس شيئاً فاستوصِ بهذا، فإنّ أباه كان أخاً لي ـ أو خليلاً أو نحو هذا من القول..."**

كما روى الطبري في تاريخه ج5 ص332، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ج2 ص527، والبلاذري في أنساب الأشراف ج5 ص50، عن جويرية بن أسماء: **"قدم أبو موسى على معاوية فدخل عليه في برنس أسْود، فقال: السلام عليك يا أمين الله! قال: وعليك السلام. فلمّا خرج قال معاوية: أقدم الشيخ لأُولّيه، ولا والله لا أُولّيه!"**إن من يسمى معاوية "أمين الله" ويحرص على الولاية، وفي نفس الوقت يتجنبه معاوية لعدم ثقته به كما يبدو، لا يستبعد منه الاشتراك في مؤامرة تستهدف التخلص من النبي ﷺ لغاية الرئاسة التي يمكن للأشعري أن يحققها عند ذاك.

[12] مسند أحمد ج5 ص273، ومجمع الزوائد ج1 ص112

[13] تفسير الدر المنثور للسيوطي ج6 ص 419 تفسير الآيات قيد البحث

[14] الإستيعاب ج1 ص277

[15] صحيح مسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة الأحزاب الحديث 1788، ومسند أحمد ج5 ص392

[16] الإستيعاب ج1 ص277

[17] التاريخ الكبير ج7 ص149

[18] سيرة إبن أسحق، نقله صاحب حلية الاولياء ج1 ص252 ومسند احمد ج5 ص140

[19] مسند أحمد ج5 ص140، والمعجم الأوسط ج7 ص217، ونيل الأوطار ج3 ص222

[20] إن موقف أبي بن كعب (رض) لا يبتعد مطلقاً عن حذيفة (رض)، فالأخير كان المعول على موقفه. فقد روى ابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة ج2 ص51-52) ما رواه عبد العزيز الجوهري في كتابه "السقيفة" عن أبي سعيد الخدري (رض) قال: "**سمعت البراء ابن عازب يقول: لم أزل لبني هاشم محباً. فلما قبض رسول الله ﷺ تخوفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عن بني هاشم، فأخذني ما يأخذ الواله العجول**".

ثم ذكر تفاصيل بيعة السقيفة، حتى قال: "**فخرجت إلى الفضاء فضاء بني بياضة، وأجد نفراً يتناجون، فلما دنوت منهم سكتوا، فانصرفت عنهم، فعرفوني، وما أعرفهم، فدعوني إليهم، فأتيتهم، فأجد المقداد بن الأسود، وعبادة بن الصامت، وسلمان الفارسي، وأبا ذر، وحذيفة، وأبا الهيثم بن التيهان. وإذا حذيفة يقول لهم: والله ليكونن ما أخبرتكم به. والله ما كذبت، ولا كذبت! ثم قال: ائتوا أبي بن كعب، فقد علم كما علمت**".

قال البراء: "**فانطلقنا إلى أُبي، فضربنا عليه بابه، حتى صار خلف الباب، فقال: من أنتم؟ فكلمه المقداد. فقال: ما حاجتكم؟ فقال له: إفتح عليك بابك، فإن الأمر أعظم من أن يجري من وراء حجاب! قال: ما أنا بفاتح بابي! وقد عرفت ما جئتم له، كأنكم أردتم النظر في هذا العقد؟ فقلنا: نعم. فقال: أفيكم حذيفة؟ فقلنا: نعم. قال: فالقول ما قال، وبالله ما أفتح عني بابي حتى تجري على ما هي جارية، ولما يكون بعدها شر منها، وإلى الله المشتكى...** "

[21] الدر المنثور ج 3 ص259

الفصل الثامن

إنذار لما بعده ﷺ

(1) مصادمة القرآن والمنطق

هل يعقل أن الصحابة تحولوا كلهم إلى مؤمنين بعد النبي ﷺ؟

(أولاً) ذكرنا في الفصل الثاني، من نصوص القرآن الواضحة، أصناف الناس في العهد النبوي:

الذين آمنوا عموماً/ المسلمون

المنافقون

الذين في قلوبهم مرض

الذين يسقطون في الشك

الشاكّون بعدل الله ورسوله ﷺ

المؤمنون المعرضون للاهتزاز

المعوقون

المرجفون

الذين في قلوبهم زيغ

المؤمنون

(ثانياً) فما هي الحادثة الكونية، الفريدة في التاريخ، التي أحالتهم كلهم – جميع المنضوين تحت الأقسام التسعة الأولى – إلى مؤمنين؟!

(ثالثاً) وجود النبي ﷺ لا يصحح أحوال الصحابة المنحرفين ولكن يصححه غيابه عنهم؟!

(رابعاً) هل أن القلق من نزول الوحي الفاضح لهم يشتد أثناء مدة نزول الوحي، أي العهد النبوي، أم بعد انتهاء الوحي؟!

(خامساً) هل كان النبي ﷺ السبب في انحرافهم – والعياذ بالله – بحيث يصبحون عدولاً مؤمنين بعده ﷺ؟!

ولعل رواية واحدة عن الحال بعده ﷺ تكفي:

روى البخاري[1] عن الصحابي الكبير حذيفة بن اليمان قوله:

"إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يومئذ يسرون واليوم يجهرون".

فهذه الرواية دليل واضح (على ما لا يحتاج إلى دليل، ولكن ماذا نفعل مع العناد) على أن المنافقين، ليس فقط انتهوا مع نهاية العهد النبوي، ولكنهم صاروا أكثر صلفاً في إظهار نفاقهم بأقوالهم وأفعالهم.

(2) إنذار القرآن

لندع العقل جانباً، أخبرنا القرآن بوجود حالة الانحراف المفضي إلى "الانقلاب" على العهد النبوي:

(أولاً) نقض الميثاق

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُوْلَئِكَ لَـهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَـهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الرعد: 25

الدخول في الدين = العهد مع الله على الإيمان والطاعة

الممارسة الدينية داخل الجماعة = توثيق العهد

فمن في داخله "خلاف الإيمان" وفي فعله "خلاف الطاعة"، فقد "نقض العهد بعد الميثاق"؛

فإذا أضفت إليه "قطع الصلة واجبة الوصل" + "الفساد في الأرض"

فقد حلّت عليهم "اللعنة" + "العذاب الأخروي".

ولدقة هذا الكتاب العجيب فإنه دس "قطع الصلة" بين "نقض العهد" و "الفساد في الأرض"، أي أن "قطع الصلة" بمستوى أهمية الاثنتين الأخريتين، وأنها في الأهمية ثانية لـ "نقض العهد".

فهل يعقل أن هذه "الصلة" هي صلة الرحم بين الإنسان وأقاربه لترقى إلى هذا المستوى الذي يوجب الطرد من رحمة الله/ "اللعنة"؟!

فلا نجد معنى مناسباً لـ ﴿**وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَن يُوصَلَ**﴾ غير "قطع رحم النبي ﷺ في أهل بيته عليهم السلام"، بعدم التفاعل شرعاً مع "مودة القربى"؛

عندها فقط يستقيم الأمر، فتأتي ﴿**وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ**﴾ عملاً متوقعاً ونتيجة طبيعية لاتخاذهم الطريق الذي يريدون من أنفسهم لا من هدى الله.

(ثانياً) آية الإنقلاب على الأعقاب

آية واضحة "أنذرت" بما يمكن أن يحصل بعده ﷺ، ليس من علم الله السابق وحسب، ولكن بعد تجربة عملية في "أُحُد" كشفت مواقف مؤسفة جداً للمسلمين ولبعض كبار الصحابة بالخصوص.

﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾ آل عمران:144

نعرف أن معركة "أحُد" بدأت بانتصار للمسلمين، ثم هزيمة، سببها "مخالفة أمر النبي ﷺ" للرماة بعدم النزول من الجبل للحصول على الغنائم، أي "الدنيا"، ولم ينفع نهي رئيسهم عبد الله بن جبير فثبت هو وثمانية معه وقاتلوا حتى استشهدوا (رض).[2]

إذاً، هناك:

"انتصار ببذل الجهد" + "هزيمة لحب الدنيا" + "نجاح العصيان حتى بعد تذكير القائد"

هذه حصلت بالضبط بعد وفاة النبي ﷺ، تخبر الآية عنها كاحتمال قائم، سواء بالقتل كما في أحد أو بالموت الطبيعي.

التعبير ﴿**انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ**﴾ في غاية الدقة، فهو يصور تغيير الوجهة 180 درجة، أي أداروا ظهرهم للأوامر الشرعية.

ثم يحذرهم ﴿**وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىَ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا**﴾ – لا تتصوروا أنكم تديرون ظهوركم للنبي ﷺ، وطالما قد مات أو قتل فلا حساب، لأنكم "تديرون ظهوركم لله" وعندها (1) لا تضروه (2) أين المفر منه؟

ثم البشارة للمؤمنين ﴿**وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ**﴾:

لم يقل "سيجزي الله الثابتين" أو "غير المنقلبين على الأعقاب" مثلاً،

ولكن "الشاكرين"، أي الذين

موقفهم في "الثبات" = إدراك نعمة الإيمان + شكرها بالبقاء على العهد.

السيرة تخبرنا[3]:

- الجيش الإسلامي كله هرب ما عدا أنفار

- ثبت علي عليه السلام (طبعاً) وأبو دجانة (رض)، يقاتلان دفاعاً عنه ﷺ

- قاتلت نسيبة بنت كعب وعائلتها (رض) فنالوا دعاء النبي ﷺ بمرافقته في الجنة

- أي أن المرأة والرجل الأعرج اللذين ليس عليهما قتال قاتلا بينما هرب "الأبطال"!

- يستمر هروب الصحابة على الجبل حتى والرسول ﷺ ﴿**يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ**﴾[4]

- بعض الكبار سمعوا أنه ﷺ قتل فجلسوا ينتظرون بن سلول شيخ المنافقين ليتوسط لهم عند أبي سفيان شيخ الكافرين! فقال لهم أنس بن النضر: "**إن كان محمد قد قتل فإن رب محمد لم يقتل! فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم. اللهم إني أعتذر إليك مما يقول هؤلاء، وأبرأ إليك مما جاء به هؤلاء!**" وقاتل حتى استشهد (رض).

ولو شئت لاسترسلت...

ولكن نسأل:

هل من العدل مساواة بن النضر ونسيبة المازنية وأبي دجانة مع الذين خلعوا إيمانهم وصاروا ينتظرون عفو الكافرين؟

وهل من هذه مواقفهم في حياته ﷺ نستغرب "انقلابهم على الأعقاب" بعد وفاته ﷺ؟

(3) إنذار المرجعية الرسولية

(أولاً) حديث أبي مويهبة

صادف أبو مُوَيْهِبَة النبي ﷺ خارجاً ليلاً فأخبره أنه أمر أن يستغفر لأهل البقيع ودعاه لمصاحبته. دخل وأخذ بالاستغفار لموتى البقيع، ثم قال ﷺ:

«السلام عليكم يا أهل المقابر، ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس، لو تعلمون ما نجاكم الله منه، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها آخرها، الآخرة شر من الأولى»[5].

«ليهنيكم ما أنتم فيه مما فيه الناس، أتت الفتن كقطع الليل يركب بعضها بعضاً الآخرة أشد من الأولى، فليهنيكم ما أنتم فيه»[6].

يعلن ﷺ أن الناس أصبحوا في حالة سيئة، ويهنئ موتى البقيع بما نجاهم الله منه. وهذا لأمرين:

- أحوالهم صارت منحرفة

- هذه الأحوال مقدمة للفتن التي سيغرقون فيها

وبما أنهم أصبحوا في تلك الحالة السيئة وهو على قيد الحياة، إذاً سيقعون في الفتن لأنهم صاروا جاهزين؛

فإذا ما وجدناهم اختلفوا أشد الاختلاف في بيعة أبي بكر، فلا بد أن بيعة أبي بكر كانت فاتحة الفتن.

ومما يثبت أن مآسينا هي نتاج تلك الفتنة الأولى أنه ﷺ يصف الفتن «**يتبع بعضها بعضاً**»، بل وأشد توكيداً «**يركب بعضها بعضاً**»، فالثانية ركبت نتائج الأولى، والثالثة نتائج الثانية، وهكذا.

(ثانياً) حديث مواقع الفتن

قال النبي ﷺ للصحابة:

«**هل ترون ما أرى؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر**»، وفي بعضها «**كوقع القطر**»، وفي بعضها الآخر «**كوقع المطر**»[7].

(ثالثاً) أحاديث الحوض

ذكرنا في الفصل الأول عقيدة أهل السنة:

"ونعتقد أن ما جرى بين الصحابة (رض) من الفتن، فقد صدر عن تأويل اجتهدوا فيه فمن كان منهم مصيباً كان له أجران، ومن كان منهم مخطئاً فله أجر واحد وخطؤه مغفور له"[8].

هذا الحكم يصادمه أحاديث النبي ﷺ بما سيحصل يوم القيامة على الحوض؛ هاك بعضاً مما في صحيح البخاري:

-«... **ثم يؤخذ برجال من أصحابي ذات اليمين وذات الشمال فأقول أصحابي فيقال إنهم لا يزالون مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم ...**»[9]

"لا يزالون" تعني الاستمرار فليسوا المرتدين الذين انتهوا بعد بضعة أشهر + ارتدادهم بدأ "منذ" لحظة وفاته ﷺ.

-«**يرد عليّ يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلـّؤن عن الحوض فأقول يا رب أصحابي فيقول إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**»[10]

بعض الصحابة "ارتدوا" بعد وفاته ﷺ.

-«**أنا فرطكم على الحوض وليرفعن معي رجال منكم ثم ليُختَلَجُنَّ دوني فأقول يا رب أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[11]

"منكم" من الصحابة المخاطبين + سبب دفعهم بعيداً هو الإحداث بعده ﷺ.

في بعضها نتيجة مهولة:

-«**بينا أنا قائم إذا زمرة، حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال هلمّ، فقلت أين، قال إلى النار والله، قلت ما شأنهم، قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى**» **ثم يكررها، حتى يقول** «**فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النِّعَم**»[12]

القليل جدًا ثبتوا على العهد، فإن "هَمْل النعم" ليس أكثر من 1 من 20 أو 50 أو 100 مثلاً.

فما هو الأمر الذي تفرّق فيه الصحابة بعد وفاته ﷺ حتى صاروا فرقة كبيرة خالفت العهد وفرقة صغيرة ثبتت؟

فإذا كان النبي ﷺ يخبرنا أن كثيراً من الصحابة انقلبوا على الأعقاب وبدلوا ولم يفوا بالعهد، فكيف يقولون أن ما جرى بينهم (وفيه سفكت الدماء المحرمة واعتدي على أهل بيته عليهم السلام وعلى صحابة آخرين) يستحقون عليه أجراً واحداً على الأقل وربما أجرين؟!

(رابعاً) إلفات خاطف من "أولي الأمر"

تتذكرون "وليجة" ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَـمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ اللهِ وَلاَ رَسُولِهِ وَلاَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[13] التي ذكرناه تحت (ثانياً) سنة الابتلاء.

ذكرها علي عليه السلام بالجمع "ولائج" وهو يشكو:

«**حَتَّى إِذَا قَبَضَ اَللهُ رَسُولَهُ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الأَعْقَابِ وَغَالَتْهُمُ اَلسُّبُلُ وَاِتَّكَلُوا عَلَى اَلْوَلاَئِجِ وَوَصَلُوا غَيْرَ اَلرَّحِمِ وَهَجَرُوا اَلسَّبَبَ اَلَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ وَنَقَلُوا اَلْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ**»[14].

وهو أوضح من أن يحتاج إلى شرح.

(4) الأساس الثاني / الصحابة وحدهم ناقلو الكتاب والسنة فلا يجوز نقدهم

كما قال أبو زرعة:

"وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة"[15].

هذا الأساس ساقط من الاعتبار كسند لم يزل يستخدم سلاحاً ضد كل نقد للصحابة، لما يلي:

(أولاً) إن النبي ﷺ لم يجعل الضمانة من الضلال في التمسك بالصحابة، ولكن بأهل بيته عليهم السلام:

«**إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»[16].

(ثانياً) وحتى الصيغة الأخرى (المخترعة) التي تجعل التمسك بـ "القرآن+السنة" لا تنفعهم، لأنها لا تحصر نقل السنة النبوية بالصحابة.

(ثالثاً) بغض النظر عن المعنى، لو اطلعتم على رواية صيغة «**وسنتي**» فإنكم ستجدونها في عدد من الكتب لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، وهي مشتركة في رواية الصيغتين معاً!

ربما ما عدا "موطأ" مالك بن أنس حيث اقتصر على «**وسنتي**».

فكيف هو سند هذه الصيغة؟

يقول راوي الموطأ: "**وحدثني عن مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ قال: تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله، وسنة نبيه**"[17]!

فهل هذا إسناد: "حدثني عن مالك أنه بلغه أن رسول الله قال..."؟!

هذه رواية مرفوعة، ولم يذكر الكتاب رواتها ما يشير إلى عدم القناعة بها (مع شدة حاجتهم لذلك من أجل ضرب الصيغة الأخرى).

فهذه هي الرواية في أول مصدر ذكرها.

(رابعاً) وماذا عن المعنى؟

بغض النظر عن السند أو غيابه، كيف يمكن أن تأمن الأمة من الضلال باتباع شيء اختلف فيه المسلمون، بل أن الأحاديث لم تكن مجموعة في عهد النبي ﷺ، فكيف يرجعهم إلى شيء غير مجموع محفوظ؟!

لنفترض أن الصحابة كانوا يعلمون كل شيء – وهو مستحيل –، ماذا عن الذين جاءوا من بعدهم ولا تزال السنة غير مكتوبة وحصلت الحروب ودخلت السياسة ومات الصحابة كلهم ودخل الأعاجم في الدين؟

إننا اليوم بوجود كتب الحديث نختلف على الكثير، فكيف بدون الكتب؟

فهل هذا يمكن أن يطلق عليه "ضمانة أبدية من الضلال"؟

(خامساً) إذاً، إنها ‹‹**كتاب الله وعترتي أهل بيتي**››

بما أن النبي ﷺ لا يمكن أن يتركنا وشأننا ويترك دينه دون ضمانة (بل أن الله تعالى لا يمكن أن يتركه – كيف وقد أمرنا بطاعة أولي الأمر – فكيف لا يعين

أولي الأمر هؤلاء)، فإنه حدد المرجع إلى العقيدة والشريعة، وحتى المنظومة الأخلاقية للدين، وهم عترته الهادية عليهم السلام.

وهؤلاء – المطهرون – هم الضمانة أيضاً إلى "السنة". فتحقيق التمسك بـ ‹‹**وسنتي**›› – بغض النظر عن سندها – لا يتم إلا من خلال الطريق المضمون بتطهير الله تعالى.

(سادساً) إن خط أهل البيت عليهم السلام حسب حديث الثقلين موجود في المذهب المعروف، وأنه الوحيد الذي بدأ من عصر الصحابة، وأنه استمر قرنين ونصف في سلسلة من الإمامة الجامعة للمعارف الإسلامية المختلفة لم تتوفر في غيرهم مطلقاً[18]؛

فكيف لا يكون هؤلاء، المطهرين قرآنياً، النصف الثاني من الأمان من الضلال حديثياً، نقلة للسنة مأمونين أفضل من الصحابة الناقلين لها؟

حتى مع العناد، فعلى الأقل هؤلاء النقلة عليهم السلام ليسوا أقل من الصحابة، بل "**كانَ أَحمدُ بنُ حَنبَل إذا سُئِلَ عَن عَلِيٍّ وَأَهْلِ بَيتِهِ، قالَ: أَهلُ بَيْتٍ لا يُقاسُ بِهِمْ أَحَدٌ**"[19] ، وقوله لابنه عبد الله "**يا بني، علي بن أبي طالب من أهل البيت لا يقاس بهم أحد**"[20] فهل أنتم أعلم من الإمام أحمد؟

فطالما انهار الأساسان اللذان علقا عليهما تحريم نقدهم والطعن فيهم، فإن باب البحث في الصحابة مفتوح ويجب أن يكون مفتوحاً.

ليس للإساءة، لأنها لا فائدة فيها، ولكن لمعرفة الخطين:

خط الهدى، الذي يمثله المؤمنون

خط الانحراف، الذي تمثله الأصناف الأخرى (المنافقون والذين في قلوبهم مرض الخ).

[1] صحيح البخاري كتاب الفتن باب إذا قال عند قوم شيئا ثم خرج فقال بخلافه ج8 ص100

[2] روى هذا وسائر تفاصيل أحد المفسرون والمحدثون والمؤرخون والباحثون.

[3] الطبري في التاريخ ج2 ص201، وابن الأثير في التاريخ ج2 ص110، وأسد الغابة ج1 ص131، والبداية والنهاية لابن كثير ج4 ص26، والسيرة النبوية له ج3 ص44، في بعضها نقلاً عن سيرة ابن إسحق

[4] ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غُمَّاً بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُواْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ آل عمران:153

[5] مسند أحمد الحديث 88838

[6] نفسه مسند المكيين ج3 الحديث 15566؛ راجع أيضاً غيرها كسنن الدارمي ومسند أبي شيبة ومسند خليفة بن خياط وأسد الغابة ومعجم الطبراني وتاريخ الطبري وغيرها.

[7] صحيح مسلم كتاب الفتن الحديث 2885؛ رواه البخاري وأحمد وغيرهم.

[8] كتيب "عقيدة أهل السنة والجماعة"

[9] صحيح البخاري ج4 ص323 حديث 243

[10] نفسه ج8 ص216 حديث 164

[11] نفسه ج8 ص214 حديث 157

[12] نفسه ج8 ص217 حديث 166

[13] التوبة:16

[14] نهج البلاغة ج2 الخطبة 150

[15] الكفاية في علم الراوية ص97

[16] الترمذي رواية 3718، والنسائي ص96 رواية 79، ومسند أحمد الروايات 10681 و 10707 و 10779 و 11135 و 20596، والدارمي رواية 3182، وغيرهم

[17] الموطأ ج2 ص208

[18] راجع كتابنا "العودة إلى الأصل" ج2 الفصول الأخيرة التي تثبت الأصل القرآني والنبوي والأولوية التاريخية لمذهب أهل البيت عليهم السلام المعروف حالياً بأتباعه في العال، وتثبت سبقه على باقي المذاهب الإسلامية في تأسيس العلوم الإسلامية كافة. الكتاب مطبوع بنسختين الثانية مختصرة قليلاً عن الأولى، والنسختان موجودتان على موقعي على الانترنت: http://www.return2origins.com/books.aspx .

[19] التذكرة لسبط بن الجوزي فضائل علي بن أبي طالب

[20] مناقب أحمد لابن الجوزي ص 163

الفصل التاسع

دليل العامل السياسي

الأنصار

"الأنصار" من العناوين المعروفة لكل مسلم، فهم الذين أسلموا من قبيلتي الأوس والخزرج في المدينة المنورة (إسمها آنذاك يثرب) وجاءوا وعرضوا فتح مدينتهم للنبي ﷺ، واتفق ﷺ معهم فبدأ المسلمون يهاجرون إليها.

(1) ثناء القرآن على الأنصار

وقد أثنى القرآن على الأنصار بشكل ملفت:

﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الحشر: 9.

الذين سكنوا دار الهجرة قبل المهاجرين (أثنت الآية قبلها على المهاجرين):

(أ) ولكن كيف تقول أنهم ﴿تَبَوَّؤُوا ... وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ قبل المهاجرين؟

قيل فيها معاني متعددة كلها صحيحة يمكن جمعها فيما يلي:

هم الذين أسسوا أول دار للإيمان

+ آمنوا قبل بعض المهاجرين، وقبل غالبية من هاجر فيما بعد

+ إختارهم الله ليكونوا في موضع الإيمان قبل غيرهم

+ إنما صار المهاجرون مهاجرين لهجرتهم إلى دار الإيمان التي أسسها الأنصار

(ب) يحبون المهاجرين، والقرآن لا يطلق الكلمات جزافاً، وعليه فكلمة "يحبون" تعني الحب الصادق، وبما أنه حب لـ "من هاجر إليهم" فهو حب متصل بالهجرة، أي بالإسلام، فهو حب عال لا يتعلق بالدنيا؛

(ت) لا يتفاعلون مع أي فعل سلبي من الآخرين، ولعله إشارة إلى المهاجرين الذين صاروا يشاركونهم معايشهم وبيوتهم، بل ولا يجدون في داخل قلوبهم ضغناً على المهاجرين حتى وإن آذوهم، وهذه لا تكون إلا لمن جرد قلبه من أي نظرة سوى نظرة الأخوة الإيمانية؛

(ث) لا يكتفون بتقديم المهاجرين على أنفسهم، بل يقدمونهم حتى ولو كانوا هم بحاجة إلى ذلك.

(ج) أن من وفق للتخلص من بخل نفسه فقد نال درجة الفلاح، درجة سامية جداً وصف القرآن بها المؤمنين الصادقين ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ... الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ** ﴾ االمؤمنون:1-11.

(2) في الحرب

نجد أن الأنصار كانوا العدد الأكبر في جيش النبي ﷺ (وإن كان سببه كونهم أكثر من المهاجرين، وهي فضيلة لهم أيضاً).

وعندما هرب المسلمون يوم أحد، لم يبق معه ﷺ إلا علي عليه السلام والأنصاري أبو دجانة سماك بن خرشة، كل منهما يقاتل من وجه، والأنصارية نسيبة بنت كعب تتلقى السهام عن النبي ﷺ، مع أن الرجال (ومنهم كبار المهاجرين) هربوا لا يلوون على شيء.

هذا، وكان شهداء أحد ما بين 4 إلى 6 من المهاجرين، مقابل ما بين 60 و 65 من الأنصار[1].

وعندما هرب المسلمون يوم حنين ولم يبق معه ﷺ سوى علي عليه السلام وعمه العباس (رض) وربما بضعة آخرين، فإنه ﷺ أمر العباس أن ينادي أصحاب "السمرة"[2] أي صخرة العقبة التي بايعه الأنصار قبل الهجرة، فميزهم بخطاب

غير الخطاب العام "**يا أهل بيعة الشجرة يا أهل سورة البقرة**". تقول الروايات أن الأنصار كانوا أول من رجع من الهرب.

بل روي أمر النبي ﷺ لعمه العباس «**يا عباس! نادِ يا معشر الأنصار، يا أصحاب السمرة، يا أصحاب سورة البقرة**»[3]، ما يعني أن الخطاب حتى "**يا أهل سورة البقرة**" كان للأنصار، ما يشير إلى أن أمله ﷺ بالرجوع كان فيهم دون غيرهم.

ثم يصف العباس رجوع الأنصار إلى النبي ﷺ "**والله لكأنما عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها**"[4].

وفي وصف آخر "**فثابوا من كل ناحية، كأنهم النحل تأوي إلى يعسوبها**"[5].

وروي قول سعيد بن جبير "فيومئذٍ سمى الله تعالى الأنصار مؤمنين، قال: ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ اللهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾[6]"[7].

(3) حالة ضعف

وعندما ضعف الأنصار قليلاً يوم وجدوا النبي ﷺ يخص كبار المشركين العطايا الكبيرة دونهم، فإنه ﷺ، بعد أن أوضح لهم أنه كان يتألف أولئك، وبعد أن ذكر العطاء المتبادل بينه ﷺ وبينهم:

‹‹أوجدتم يا معشر الانصار في أنفسكم في لعاعة من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم؟ ... فو الذي نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار؛ ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار؛ اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار››[8].

فهو ﷺ يثق بإسلامهم في تقدير الموقف؛ ولو لم يكن مهاجراً لعد نفسه واحداً منهم؛ وأن الناس لو افترقوا فرقتين فإنه سيختار الأنصار. ويختم بذلك الدعاء المستجاب لثلاثة أجيال منهم.

(4) مدح النبي ﷺ للأنصار

(أ) ‹‹الأنصار كرشي وعيبتي››

"كرشي":

مادتي التي أقوى بها وأفزع إليها، أي أنهم يمدونه بأنفسهم، أو أهلي وعيالي وحامتي وجماعتي.

"عيبتي":

موضع ثقتي ومكان سري[9].

(ب) ‹‹حُبُّ الأنصار إيمانٌ وبُغضُهُم نفاق››[10]

«آيةُ الإيمانِ حُبُّ الأنصارِ وآيةُ النّفاقِ بُغضُ الأنصار»[11]

معيار مهم

هذا المعيار، حب الأنصار من الإيمان وبغضهم من النفاق، لم يرو عنه ﷺ إلا في حق علي بن أبي طالب عليه السلام.[12]

معيار مهم جداً عند النظر في الروايات، فبعد المعيار الأول عدم التعارض مع القرآن، فإن الروايات التي تلاعبت بها الحزبيات والعصبيات والسياسة لا بد أن تلمس خفايا النفوس: أمؤمنٌ أم منافق؟ وهذا عسير، ولكن الله يسره لنا عن طريق إخبار نبيه ﷺ أن حب علي عليه السلام وحب الأنصار من الإيمان وبغضهما من النفاق.

(5) إخبار النبي ﷺ بما سيلقونه بعده

روى الواقدي[13] أن النبي ﷺ أراد أن يكتب البحرين للأنصار تكون (خراجها) لهم وحدهم بعده، فرفضوا وقالوا: **"ما حاجتنا بالدنيا بعدك يا رسول الله؟ قال: «أما لا فسترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله، فإن موعدكم الحوض»".**

وفي رواية مختلفة قليلة قوله ﷺ **«إنكم ستجدون بعدي أثرة شديدة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»**[14].

وتنص بعض رواياتها إلى ذلك الإيثار الأنصاري الذي أعلنه القرآن، فقد أخرج البخاري وغيره رفض الأنصار أن يوصي النبي ﷺ لهم بشيء دون المهاجرين!

"دعا النبي ﷺ الأنصار ليكتب لهم بالبحرين، فقالوا: لا والله حتى تكتب لإخواننا من قريش بمثلها"؛

وفي صيغة أخرى قولهم **"لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها"؛**

وفي ثالثة قولهم **"يا رسول الله إن فعلت فاكتب لإخواننا من قريش بمثلها"؛**

وفي كل واحدة يخبرهم بما سيكون الحال بقوله: **«إنكم سترون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني»**[15].

أي أنه يقول لهم بشكل غير مباشر: أريد أن أكتب لكم شيئاً لأن المهاجرين وغيرهم من قريش سيمنعونكم – فأنتم تؤثرون على أنفسكم وهم يؤثرون أنفسهم عليكم!

ويبدو أنه ﷺ أراد الاحتياط للأمر بكتابة البحرين لهم؛ كما أنه احتاط بالأمر العام في الرواية التالية:

قوله ﷺ: «**أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم**»[16]، وفيها:

- الوصية بهم
- التنويه بمنزلتهم عنده ﷺ (المذكورة أعلاه)
- أنهم قاموا بواجبهم منذ بيعتي العقبة، وبقي واجب الآخرين تجاههم
- أمر الآخرين أن "يقبلوا من المحسن" و "يتجاوزوا عن المسيء".

(6) موقف قريش من الأنصار

(أولاً) موقف الخلفاء الثلاثة

لم يسند إلى الأنصار شيء من المناصب لا في زمان أبي بكر ولا عمر ولا عثمان؛ وفي هذا دلالة على وجود نظرة شك في ولائهم للخلافة، إضافة إلى معرفة أن "**هواهم في علي** عليه السلام" كما قيل[17]، وأهم منه أنهم أصحاب الدار في تمكن لهم سيجعل لهم اليد الأعلى.

(ثانياً) موقف المحدثين والمؤرخين

هؤلاء معظمهم ليسوا من قريش، ربما أكثرهم من الأعاجم، الفرس بالخصوص، ولكنهم كانوا "قرشيي الموقف" ساروا مع سفينة الحكم.

موقف علماء المسلمين السنة من الأنصار يشبه موقفهم من أهل البيت عليهم السلام: تعظيم وتبجيل ولكن دون إعطائهم حقهم النابع من دورهم في الدين.

مثالان يكفيان:

- حديث العشرة المبشرة بالجنة

حديث من أشهر الأحاديث، كتبت فيه الكتب وقصص الأطفال والمسلسلات والقصائد.

"أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة بن عبيد الله في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة عامر بن الجراح في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمر وبن نفيل في الجنة"[18]

ليس المقام تحليل الحديث، لا في صيغته، ولا ترتيبهم حسب الخلافة (والذي لم يقنع أنصار الحديث وإلا لقالوا أن الخلافة حصلت من إخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم!)، ولا أن التسلسل يأتي بباقي ستة الشورى، ثم ينتهي بأبي عبيدة ثالث السقيفة والذي قال عمر بصراحة أنه لو كان حياً لولاه الخلافة (فلا شورى ولا هم يحزنون!)، ولا أن بعض المبشرين بالجنة في الحديث جزعوا عند الموت خوفاً من سوء العاقبة، ولا أن أحد المبشرين ينفي أن يكون أحد قد بشره الله بالجنة غير عبد الله بن سلام، ولا في سنده، ولا ولا...؛

ولكن المهم هو أن الحديث يخلو خلواً تاماً من الأنصار!

فهل لا يستحق أحد منهم البشارة بالجنة؟!

أين أبو أيوب الذي شاء الله أن تبرك ناقته ﷺ عند داره فينزل عنده؟[19]

أين خزيمة بن ثابت الوحيد الذي قبل ﷺ شهادته بشهادة رجلين، وهذا بأمر الله قطعاً؟[20]

أين أبو الهيثم بن التيّهان من أوائل الأنصار حيث شهد بيعتي العقبة، والذي كان يقول بالتوحيد قبل الإسلام؟[21]

وغيرهم وغيرهم...

أم لهم أسوة بمهاجرين أهملهم الحديث مع أنه ﷺ مدحهم أكثر من هؤلاء، أن عمار بن ياسر ملئ إيماناً أو أن أبا ذر أصدق الناس؟[22]

- من أرض الواقع، دور الأنصار في قيادة الفتوح

يحفظ المسلمون أسماء خالد وأبي عبيدة وسعد ومعاوية لأنها تدرس في المدارس وتشاهد في المسلسلات وتقرأ في المؤلفات، ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن الأدوار الكبيرة للقادة المباشرين للعمليات، وبالذات الأنصار، كعبادة بن الصامت أحد النقباء في العقبة وأبي أيوب وعثمان وسهل ابني حنيف ومحمد بن أبي حذيفة وأبي الهيثم بن التيهان الأوسي العقبي أيضاً؟[23]

(ويلحق بهم بالطبع من كان من شيعة علي عليه السلام؛ حتى خالد بن سعيد بن العاص، لم ينفعه كونه ابن عم عثمان وابن العم من ثاني ظهر لمعاوية، بل هو ثالث أو رابع أو خامس من أسلم! تصوروا: أموي من "لِبَّة" بني أمية ومن أول المسلمين لا يعرفه الناس![24])

وعليه، فإن وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالأنصار لم تلق آذاناً صاغية، وإلا أين "الذي لهم" عند الخلفاء والولاة والعلماء، ما عدا كلمات هنا وهناك في كتب ترفع غيرهم عليهم، بل وترفع من لم يدخل الإسلام إلا بعد اليأس من الكفر.

(7) الموقف السني يحبهم دون الالتفات إلى جهله بهم ولماذا

بالرغم من هذه المكانة العظمى للأنصار عند الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، نجد جهلاً عظيماً بهم من المسلمين. فلو سألت الغالبية الساحقة من الأمة أن يأتوك بأسماء عشرة، بل خمسة، من الأنصار لعجزوا عن ذلك. بينما يحفظون عن ظهر قلب أسماء ألد أعداء الإسلام، ومنهم من قلب الخلافة إلى ملك عضوض.

الملايين يحفظون أسماء العشرة المبشرة، ولكنهم كلهم من المهاجرين!

فأين الأنصار؟

هل تناساهم الأولون حتى نسيهم الآخرون؟

أم تجاهلوهم عمداً حتى نسيهم الأولون والآخرون؟

الجواب الواضح والبسيط:

الأنصار "نصروا الله ورسوله ﷺ"، هيأوا المدينة والعدد والعدة لنشر الدين ودحر قريش الكافرة، فلما أسلمت قريش "كرهاً" إنتقمت من الأنصار فيما بعد – بالتعامل المجحف معهم + إهمالهم في التاريخ والحديث المخترع.

ومن المؤسف أن المهاجرين تعاملوا مع إخوانهم الأنصار كما رغبت قريش الكافرة، مع أن الأنصار آثروهم على أنفسهم، حتى مع الحاجة ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾[25]، بل ورفضوا أن يأخذوا شيئاً دونهم (راجع ما ذكرناه قبل قليل من رفضهم أن يكتب لهم ﷺ البحرين خالصة لهم بعده).

ماذا أقول؟

لولا ذكرهم في القرآن فلربما لا نعرف اليوم شيئاً اسمه الأنصار!

(8) الموقف الشيعي يفضلهم على المهاجرين ولكنه لا يعرفهم

إن الشيعة يفضلون الأنصار، لا لمزيد معرفة بهم، ولكن لأن الضربة لأهل البيت عليهم السلام جاءت من المهاجرين. ومن يعرف من الشيعة أكثر، يعلم بقربهم من علي عليه السلام.

ولكن الموقف العام هو الحساسية منهم كونهم من الصحابة الذين خذلوا علياً عليه السلام.

(أ) موقف الأنصار بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

يشكل الشيعة على موقف الأنصار في سقيفة بني ساعدة لأنهم أول من اجتمع لاختيار خليفة من عندهم ثم جاء الشيخان وأبو عبيدة واستخلصوها منهم؛ أي أنهم، مثل قريش، وقفوا ضد خلافة أهل البيت عليهم السلام.

ولكن على الشيعة الالتفات إلى ما يلي، أن الأنصار:

(أولاً) وجدوا لأنفسهم حقاً في الإمرة، فهم ﴿**الَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ**﴾ الأنفال:72 يوم أن سدّت الأبواب بوجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ سمّتهم الزهراء عليها السلام "حضنة الإسلام وأعضاد الملّة"[26].

(ثانياً) خضعت قريش بأسيافهم، فكانوا يخشون من أن تتغلب فتنتقم منهم، وهو ما وقع بعد 50 سنة باستباحة بني أمية المدينة وأخذهم البيعة من أبناء الأنصار كالعبيد.[27]

(ثالثاً) رأوا تآمر العرب على صاحب الأمر علي عليه السلام، رغبة في السلطة من البعض وحقداً من آخرين، فهم يطلبونه ويطلبون النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خلاله، بثارات بدر وغيرها، فما المانع من أن يسعوا إلى خلافة خرجت عن صاحبها الشرعي؟

(رابعاً) التنافس بين الأوس والخزرج إلى قبل سنوات معدودة جعلتهم يخالفون أوامره ﷺ في عدم التنازع على الخلافة على ما أكده عبادة بن الصامت (رض) في بيعة العقبة: **"بايعنا رسول الله على السمع والطاعة، في المنشط والمكره، وأن لا ننازع الأمر أهله"**[28].

** نقطة التفات:

على الرغم من شدة حاجة النبي ﷺ إلى النصرة، لكنه عندما يأتي الأنصار يجعل من شروط البيعة **"أن لا ننازع الأمر أهله"** – أي أن الأنصار لا حصة لهم في الأمر المقصود في ﴿**أُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ**﴾ النساء: 59. وهذا يعني:

- أن "الأمر" بيد الله حصراً، فحتى النبي ﷺ لا يستطيع الوعد به ولا السكوت عنه

- لا شورى في الحكم عند وجود الإمام المنصوص عليه، وإلا لماذا لا يكون للأنصار حق؟

(ب) موقف أهل البيت عليهم السلام من الأنصار

(أولاً) موقف الزهراء عليها السلام

في خطبتها الشهيرة بمسجد أبيها ﷺ، وصفتهم:

«**أنتم موصوفون بالكفاح معروفون بالخير والصلاح، والنخبة التي انتخبت والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت، قاتلتم العرب وتحملتم الكد والتعب**»[29]

فالأنصار:

- مكافحون صلحاء أخيار
- إنتخبهم الله "خيرة" لأهل البيت عليهم السلام، عوناً ونصراً وظهيراً ومطيعاً
- جاهدوا وتحملوا الكثير

فهذا المدح العظيم من الزهراء عليها السلام لا يشطب لأنهم (في العموم، وإلا فإن البعض منهم لم يفعل) خذلوا علياً عليه السلام.

(ثانياً) موقف أمير المؤمنين عليه السلام

إنقلب موقف الخلافة عندما تولاها علي عليه السلام، فبعد دفعهم عن الولايات والقيادات قام الإمام عليه السلام بتعيينهم فيها. منهم عثمان بن حنيف على البصرة (الذي دخل عليه طلحة والزبير وجماعتهما فنكلوا به وحلقوا شعر وجهه، ولولا أنه هددهم بأخيه سهل في المدينة ينتقم منهم بأهليهم لقتلوه مع ما يزيد من 120 من المسلمين قتلوهم صبراً لرفضهم تسليمهم بيت المال وكانوا حراسه[30]).

أيضاً، قاتل الأنصار بين يديه عليه السلام، كما باقي المهاجرين، في صفين ضد الباغي الغاوي معاوية، حتى استشهد من تبقى من البدريين (حوالي 70) وجميع أهل بيعة الرضوان (ربما 800) إلا أنفاراً.[31]

فالذي ينبغي على المسلمين، سنة وشيعة، أن لا يبخسوا الناس أشياءهم فيضعوا الجميع في سلة واحدة، كما يجب أن ينظر في أواخر الأمور، لأنه من المستحيل أن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام يقاتل بهؤلاء فيقتلون بين يديه وهو يرى أنهم خاسرون هالكون في الآخرة.

[1] الطبري في التاريخ ج2 ص201، وابن الأثير في التاريخ ج2 ص110، وأسد الغابة ج1 ص131، والبداية والنهاية لابن كثير ج4 ص26، والسيرة النبوية له ج3 ص44، في بعضها نقلاً عن سيرة ابن إسحق

[2] تاريخ الإسلام للذهبي ج2 ص580 والبداية والنهاية ج4 ص378 ودلائل النبوة للبيهقي ج5 ص138 والسيرة النبوية لابن كثير ج3 ص627 والسيرة النبوية لدحلان ج2 ص110 و 111

[3] تاريخ الإسلام للذهبي ج2 ص580 والبداية والنهاية ج4 ص378 ودلائل النبوة للبيهقي ج5 ص138 والسيرة النبوية لابن كثير ج3 ص627 والسيرة النبوية لدحلان ج2 ص110 و 111

[4] نفس المصادر

[5] تاريخ الخميس ج2 ص105

[6] سورة التوبة:26

[7] الدر المنثور ج4 ص162 وتفسير ابن أبي حاتم ج3 ص752 وج6 ص1774 وفتح القدير ج2 ص349

[8] السيرة النبوية لابن هشام ج2 غزوة حنين ص498

[9] صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار الحديث 3588، وصحيح مسلم كتاب فضائل الأنصار الحديث 4571

[10] مسند أحمد بن حنبل ج 3 ص70، والكامل لابن عدي ج2 ص730

[11] صحيح البخاري كتاب الإيمان باب علامة الإيمان حب الأنصار الحديث 17، ومسند أحمد باقي مسند المكثرين مسند أنس بن مالك الحديث 11907

[12] حتى أن هذا جعله مسلم النيسابوري عنوان باب – صحيح مسلم كتاب الإيمان ج1 باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان وعلاماته. ونص حديث الأنصار عند مسلم «**آية المنافق بغض الأنصار وآية المؤمن حب الأنصار**» الحديث 74.

[13] المغازي ج3 ص958

[14] صحيح البخاري ج4 ص60 وفتح الباري ج13 ص361 ومسند أحمد ج3 ص166 وسنن النسائي ج5 ص89 ومسند أبي يعلى ج6 ص283 ومسند الشاميين ج4 ص132

[15] صحيح البخاري ج ص100 كتاب المساقاة باب القطائع، و ج4 ص78 كتاب الجزية باب ما أقطع النبي ﷺ من البحرين، و ج5 ص28 كتاب المناقب باب قول النبي ﷺ للأنصار اصبروا حتى تلقوني على الحوض

[16] صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار الحديث 3588، وصحيح مسلم كتاب فضائل الأنصار الحديث 4571

[17] روى ابن أبي الحديد (شرح نهج البلاغة ج6 ص19-20) عن الزبير بن بكار قول زيد بن أرقم لعبد الرحمن بن عوف **"وإنا لنعلم أن ممن سميت من قريش من لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه أحد: علي بن أبي طالب"**. وروى الطبري (تاريخ الطبري ج2 ص233 ذكر الأخبار الواردة باليوم الذي توفى فيه رسول الله ومبلغ سنه يوم وفاته) وابن الأثير (الكامل في التاريخ ج2 ص220 حديث السقيفة وخلافة أبي بكر) قول الأنصار بعد بيعة أبي بكر **"لا نبايع إلا علياً"**.

[18] رواه الترمذي في سننه ج4 ص334، وأبو داود في سننه الحديثان 4649 و 4650، وغيرهما، ولكن لم يروه البخاري ولا مسلم.

[19] سيرة ابن هشام ج1 ص494، والكامل في التاريخ ج2 ص5، والبداية والنهاية ج3 ص261

[20] سير أعلام النبلاء الصحابة الرضوان الله عليهم خزيمة بن ثابت ص487

[21] نفسه ص191

[22] لا عجب إذا علمنا أن هؤلاء كلهم من أصحاب علي عليه السلام وأشد أنصاره. خذ مثلاً ما روي (البداية والنهاية، ج7 ص338-339) من قول أبي أيوب الأنصاري **"وسمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعمار: «يا عمار تقتلك الفئة الباغية وأنت مذ ذاك مع الحق والحق معك، يا عمار بن ياسر إن رأيت علياً قد سلك وادياً وسلك الناس غيره فاسلك مع علي فإنه لن يدليك في ردى ولن يخرجك من هدى»"** .

أو ما روي من شعر خزيمة بن ثابت في الحوادث المختلفة ومنها يخاطب السيدة عائشة في حرب الجمل ويذكر وصية علي عليه السلام بعده صلى الله عليه وآله وسلم (شرح نهج البلاغة شرح الخطبة 2):

أعائشُ خلّي عن عليٍّ وعيبِهِ * بما ليسَ فيهِ إنما أنتِ والدَهْ

وصيُّ رسولِ اللهِ من دُونِ أهلِهِ * وأنتِ على ما كانَ من ذاكَ شاهدَهْ

[23] هذا موضوع كبير لا يتسع له حتى الإشارة، ولكن من يراجع كتب التاريخ كتاريخ الطبري، وكتب الفتوح بالذات، كفتوح البلاذري وفتوح ابن أعثم ومغازي الواقدي، وحتى كتب التفسير والحديث من الصحاح وغيرها، يجد أسماء أنصار علي عليه السلام القريبين – من مهاجرين وأنصار – في قيادة الفتوحات، سواء القيادة العامة أو الميدانية.

[24] هذا الصحابي، الجليل حقاً، من أعظم الأدوات التي يمكن استخدامها في البحث في مقدار الانحراف في كتابة التاريخ الإسلامي. فكيف – بالله عليكم – لرجل صحابي بهذه المنزلة المتقدمة في بني أمية الذين سيطروا على الحكم ما يقرب من قرن كامل، نشر لهم فيها عباد الدراهم من هزيلي الدين ما أرادوه من أحاديث وتواريخ مزورة ملفقة، يتم التعتيم عليه، وإلى اليوم، بحيث لا تكاد تجد له ذكراً، مع أن القرون الأموية انتهت من زمان ويفترض أن المسلمين اليوم منصفون مع تاريخهم، فكيف بصحابي هو ثالث أو رابع أو خامس من أسلم لا يكاد يعرفه أحد؟!

[25] سورة الحشر: 9

[26] خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاته بقليل، خطبة شهيرة رواها ابن أبي طاهر في بلاغات النساء، والمسعودي في مروج الذهب، والسيد المرتضى في كتاب الشافي، وغيرهم، بروايات عن عروة والزهري عن السيدة عائشة وعن زينب بنت علي عليه السلام

وزيد بن علي بن الحسين عليه السلام والأئمة السجاد والباقر والصادق عليهم السلام وعبد الله بن الحسن عليه السلام.

[27] راجع في هذا كل من روى تفاصيل تلك الحادثة والجرائم التي حصلت فيها بأمر يزيد بن معاوية إلى قائده في تلك الحملة مسلم بن عقبة المري، في حوادث سنة 63هـ.

[28] رواه البخاري ج6 الحديث 6647 ومسلم ج3 الحديث 1709 والنسائي كتاب البيعة الحديث 4151 وغيرهم نص بيعة العقبة الثانية "**بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة، في العُسر واليُسر، والمنْشَط والمكْرَه، وعلى أثَرَةٍ علينا، وعلى ألا نُنازع الأمر أهْلَهُ، وعلى أن نقول بالحق أينما كُنّا لا نخافُ في الله لَوْمَةَ لائم**".

[29] رواها ابن أبي طاهر في بلاغات النساء، والمسعودي في مروج الذهب، والسيد المرتضى في كتاب الشافي، وغيرهم.

[30] أنساب الاشراف ج1 ص227 ، وتاريخ الطبري ج4 ص468 ، وشرح نهج البلاغة ج9 ص312

[31] هناك اختلاف في الأعداد، ولكنها كلها بمئات الصحابة من الرضوانيين والعشرات من البدريين أوصلها بعضهم إلى 130 بدرياً، بل جميع من بقي منهم، تاريخ خليفة بن خياط ص145و 148، والذهبي تاريخ الاسلام ج3 ص545، والزرقاني في نهج المسالك، وغيرهم؛ بل ورووا قول علي عليه السلام ‹‹**وليس على وجه الأرض بدري إلاّ وهو معي**›› البداية والنهاية ج7 ص257.

الفصل العاشر

لا تفْرِطوا ولا تفَرِّطوا

في آخر هذا البحث، أرجو أن أكون قد نجحت في عرض ملف الصحابة من خلال النظر في بعض آيات القرآن، بتدبر خفيف ولكن يفي بالغرض، بإلقاء الضوء على "الإفراط السني" في الصحابة والذي يشكل "عقدة" العقد في الخلاف المذهبي (الذي يتحول إلى طائفي مدمر) بين أتباع المذهب السني وأتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام؛ كما يلقي الضوء على "التفريط الشيعي" في الصحابة وهو الجانب المقابل لهذه "العقدة" المستحكمة.

(1) أيها السنة لا تـُفـْرِطوا

"قيل لابن المبارك أيهما أفضل معاوية أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: الغبار الذي دخل في أنف فرس معاوية مع النبي صلى الله عليه وسلم خير من مثل عمر بن عبد العزيز كذا وكذا مرة!"[1]

هل هذا معقول؟

معاوية، الذي يكفي أن نشير إلى:

- حربه ضد الإمام عليه السلام حصدت عشرات الألوف فلم يبق بعدها بدري أو رضواني إلا أنفار إستشهد 80 بدرياً و700 رضواني مع علي عليه السلام[2])، من أجل الوصول إلى الحكم

- سب علي والحسنين عليهما السلام على المنابر، وجعلها سنة التزمها بنو أمية، ولم يرفعها إلا عمر بن عبد العزيز[3]

يأتي "ابن المبارك" ليجعل مجرد "الغبار" الداخل في أنف فرسه أو أنفه هو أفضل من عمر بن عبد العزيز الذي رفع السب وأشاع العدل ورفع المنع الكارثي لكتابة الحديث الذي استمر 90 سنة أورثتنا هذا التراث الذي يئن من أكاذيب وأساطير وإسرائيليات بعد أن أمر معاوية نفسه بالبدء بالوضع؟!

وقال ابن حجر الهيتمي: "**وأما ما اختص به الصحابة – رضوان الله عليهم – وفازوا به من مشاهدة طلعته ورؤية ذاته المشرفة المكرمة فأمر من وراء العقل، إذ لا يسع أحداً أن يأتي من الأعمال وإن جلت بما يقارب ذلك فضلاً عن أن يماثله!**"[4]

فهل يعقل أن مجرد رؤيته صلى الله عليه وآله وسلم أعظم من جميع ما يمكن أن يأتي به المؤمن من أعمال؟!

هل قال الله هذا؟ هل قال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم نفسه هذا؟

هذا التطرف يا ليت لو كان من أجل الرسول ﷺ، ولكنه والله الذي لا إله إلا هو من أجل الصحابة الذين دخلوا في الخلافات والفتن؛ إذ كيف يمكن أن تكون حباً بالرسول ﷺ عندما تكون اصطفافاً مخزياً مع ألد أعدائه؟

يقف ﷺ مشيراً إلى علي وفاطمة والحسنين عليهم السلام ويقول:

«**أنا حربٌ لمن حاربكم، وسلمٌ لمن سالمكم**»[5]

ثم يكون التطرف لمصلحة غبار فرس معاوية!

وتصبح "مشاهدة" معاوية له ﷺ مانعة للطعن في حربه الرسول ﷺ لأن الحرب ضد أهل بيته عليهم السلام حرب ضده.

والأنصار، والتعامل المجحف بحقهم من الخلافة الأولى، ثم من الصحابي الكبير معاوية؟

(2) لماذا يحق للصحابة ما لا يحق لغيرهم، مع أن الحجة عليهم آكد؟!

عقيدة أهل السنة في ما جرى بين الصحابة من أحداث، كما في كلام أحمد بن حنبل:

"لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم، ولا يطعن على أحد منهم؛ فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، وليس له أن يعفو عنه،

بل يعاقبه ثم يستتيبه فإن تاب قبل منه، وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة، وخلده في الحبس حتى يتوب ويراجع"[6].

إنما هو منهج يجامل الصحابة ولا يجامل غيرهم، مع أن غيرهم أولى بالمجاملة، لأن الصحابة حظيوا بما لم يحظ به غيرهم فصارت الحجة عليهم آكد وأوثق.

إستطراداً، فإنه يجب محاسبة المقصرين منهم والضالعين في الانحراف أشد من الذين جاءوا من بعدهم.

بل يمكن القول أن الصحبة يترتب عليها مسؤولية كبيرة ولاسيما على الذين صحبوه مدة طويلة ورأوا بأعينهم معجزاته الباهرة والآيات تتنزل عليه، ثم سمعوه يحذرهم من الوقوع في الفتن، فلم يكن لهم عذر في ما فعلوه مقارنة بغيرهم.

هذا منهج رسمته السياسة فمشى عليه الناس، بدليل أن بعض الذين أسلموا بعد فتح مكة صاروا أعظم درجة ممن أسلم من قبل الفتح وقاتل في مخالفة واضحة للآية المعروفة:

فمن الممكن نقد أبي ذر أنه أسرف في الطعن على الموسرين من الحكام بينما يمنع البحث تماماً في هؤلاء الحكام أنفسهم ولاسيما معاوية[7]؛

بل ولا نجد من ينكر على من يرمي علياً عليه السلام بالجهل في السياسة[8]؛

بل ان ابن تيمية (كتاب منهاج السنة) فضّل "رعية معاوية" على "رعية علي" مع معرفته أن جميع من بقي من الصحابة إلا أفراداً قلائل كان ضمن رعية علي عليه السلام![9]

فلينظر ناظر بعقله ويتفكر في هذه المخالفات والتناقضات ‹‹**فإن التفكّر حياة قلب البصير**›› كما قال صلى الله عليه وآله [10] حتى يعذر من يتخذ موقفه من الصحابة بناء على القرآن والمنطق وليس على ما أسسته السياسة ولا تزال تسير عليه.

(3) الأثر المدمر لهذا الإفراط – الحديث الشريف

روى الكليني[11] أن سليم بن قيس الهلالي سأل الإمام علي عليه السلام:

"إني سمعت سلمان وأبا ذر والمقداد يتحدثون بأشياء من تفسير القرآن والاحاديث والروايات عن رسول الله صلى الله عليه وآله ثم سمعت منك تصديق ذلك ورأيت في أيدي الناس أشياء كثيرة من تفسير القرآن والاحاديث والروايات عن رسول الله صلى الله على وآله يخالفونها فيكذب الناس متعمدين ويفسرون القرآن بآرائهم؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام:

‹‹قد سألت فافهم الجواب، إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً وصدقاً وكذباً وناسخاً ومنسوخاً وعاماً وخاصاً ومحكماً ومتشابهاً وحفظاً ووهماً،

وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله في حياته كذبا كثيرا حتى قام خطيبا فقال:

"أيها الناس قد كثر علي الكذابة، فمن كذب علي متعمدا فليتبوء مقعده من النار" وكذلك كذب عليه بعده».

ثم أخذ الإمام عليه السلام يفصل الذين جاءوا بالحديث عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنما أتاك بالحديث أربعة ليس لهم خامس:

- رجل منافق يظهر الايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله متعمداً، ولو علم الناس أنه منافق كذاب لم يقبلوا منه ولم يصدقوه ولكنهم قالوا: قد صحب رسول الله صلى الله عليه وآله ورآه وسمع منه، فأخذوا منه وهم لا يعرفون حاله؛ وقد أخبر الله عزوجل عن المنافقين بما أخبر ووصفهم بأحسن الهيئة فقال: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾[12] ثم تفرقوا من بعده وبقوا واختلفوا وتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بزور والكذب فولوهم الاعمال والاحكام والقضاء وحملوهم على رقاب الناس وأكلوا بهم الدنيا، قد علمت أن الناس مع الملوك أتباع الدنيا وهي غايتهم التي يطلبون إلا من عصم الله فهذا أحد الأربعة.

- والثاني: رجل سمع [من] رسول الله شيئاً ووهم فيه ولم يحفظه على وجهه ولم يتعمد كذباً، فهو في يده يعمل به ويقول: أنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله، ولو علم الناس أنه وَهْم لم يقبلوه ولو علم هو أنه وَهْم لرفضه ولم يعمل به فهذا الثاني.

- والثالث: رجل سمع من رسول الله صلى الله عليه وآله أشياء أمرها بها ثم نهى عنها وهو لم يعلم النهي، أو نهى عن شيء ثم أمر به ولم يعلم الامر، حفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم الناس أنه منسوخ لرفضه الناس ورفضه هو فهذا الرجل الثالث.

- والرابع: رجل لم يكذب على الله وعلى رسوله، يبغض الكذب خوفاً من الله وتعظيماً لرسوله صلى الله عليه وآله ولم يتوهم ولم ينس، بل حفظ ما سمع فجاء به على وجهه لم يزد فيه ولم ينقص حفظ الناسخ وعمل به وعلم المنسوخ ورفضه.

فان أمر الرسول صلى الله عليه وآله مثل القرآن ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه، يكون من رسول الله صلى الله عليه وآله الامر له وجهان: كلام عام وكلام خاص مثل القرآن وقد قال الله عز وجل: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[13] فكان يسمع قوله من لم يعرفه ومن لم يعلم ما عنى الله به ورسوله صلى الله عليه وآله ويحفظ ولم يفهم.

وليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله كان يسأله عن الشيء ويستفهمه، كان منهم من يسأل ولا يستفهم حتى لقد كانوا يحبون أن يجيئ الأعرابي أو الطارئ أو الذمي فيسأل حتى يسمعوا ويفهموا.

ولقد كنت أنا أدخل كل يوم دخلة فيخليني معه أدور فيها معه حيثما دار، علم ذلك أصحابه أنه لم يصنع ذلك بأحد غيري، ولربما أتاني في بيتي، وإذا دخلت عليه منازله أخلاني وأقام نساءه فلا يبقى أحد عنده غيري، كنت إذا سألت أجابني وإذا سكت وفنيت مسائلي ابتدأني. وما نزلت عليه آية في ليل ولا نهار ولا سماء ولا أرض ولا دنيا وآخرة ولا جنة ولا نار ولا سهل ولا جبل ولا ضياء ولا ظلمة إلا أقرأنيها وأملاها علي فكتبتها بيدي وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها وخاصها وعامها وأين نزلت وفيم نزلت إلى يوم القيامة››".

هذه الرواية:

أولاً/ تصنف رواة الحديث بشكل معقول بلا إفراط أن كل صحابي عدل

ثانياً/ تفتح العيون على الكم الهائل من الأحاديث الضعيفة و الموضوعة

ثالثاً/ تعلن الفارق في المنزلة العلمية بين علي عليه السلام وغيره، والتي لم تكن لذكائه ولا لحرصه على العلم وحسب، ولكن لحرص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على تعليمه

التنزيل الحكيم وبيانه ﷺ بشكل كامل تهيئة لدوره الخطير في الأمة – الإمامة الهادية القائدة.

(4) أيها الشيعة لا تفرّطوا

الصحابة المحمودون الممدوحون

هؤلاء الصحابة، من مات على عهد النبي ﷺ أو عاش حتى عهد علي عليه السلام واتبعه ونصره، قد خصوا من علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام بالمدح العظيم، خصوصاً الأنصار الذين نصروا الله ورسوله ﷺ في قبالة قريش التي كفرت وعاندت. وهذا ينبغي لشيعة علي عليه السلام أن ينتبهوا إليه كي لا يجانبوا الصحابة كلهم لأنه يعني مجانبة المخلصين الشاكرين الذين نصروا الإسلام بصدق وإخلاص وتفان، والذين نصروا علياً والحسنين عليهم السلام ممن ذكروا أو لم يذكروا في الروايات والسير، دون الغفلة عن أن المعاصر يستطيع أن يدين هذا أو يهمل ذاك بسهولة مع أن أولئك ربما قام بأعمال جميلة في ظروف صعبة ما كان هذا المعاصر لينجح فيها.

روي عن علي عليه السلام:

«**لقد رأيت أصحاب محمد فما أرى أحداً يشبههم: لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون**

على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، إذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبل جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف، خوفاً من العقاب، ورجاء الثواب››[14].

ثم جاء حفيده الباقر عليه السلام ليعطي الأنصار (رض) حقهم في موقفهم المفصلي في الإسلام، يقول:

‹‹ما سلت السيوف ولا أقيمت الصفوف، في صلاة ولا زحوف، ولا جهر بأذان، ولا أنزل الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حتى أسلم أبناء قيلة الأوس والخزرج››[15].

ولهذا يتحرق علي عليه السلام شوقاً إلى الصحابة المخلصين الذين قضوا:

‹‹أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة؟!››

ثم يبكي طويلاً ويكمل:

‹‹أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنة، وأماتوا البدعة، دعوا إلى الجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه››[16].

بل أنتم تقرأون دعاء إمامكم علي بن الحسين عليه السلام لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم[17]:

«**اللهم وأصحاب محمد خاصة، الذين أحسنوا الصحابة، والذين أبلو البلاء الحسن في نصره، واستجابوا له، حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منوطين على محبته، يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنس لهم اللهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك، وبما حاشوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك دعاة لك إليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه**»،

وفيه فرز الأصحاب «**الذين أحسنوا الصحبة**» فصاروا لائقين لهذا المدح العظيم،

وفيه تعداد لما صنعوه من أجل نصرة الدين،

رضي الله عنهم وأرضاهم بأنواع الكرامة، وأنعم علينا برؤيتهم ومصاحبتهم في محال رضوان الله وجناته خالدين فيها أبداً...

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين وصحبه الشاكرين.

[1] مرقاة المصابيح على مشكاة المصابيح، وبلفظ أقل تطرفاً **"الغبار الذي دخل أنف معاوية"** وليس **"أنف فرس معاوية"**، وإن كان حدد أن هذا الغبار أفضل من عمر بن عبد العزيز **"ألف مرة"** رواه ابن خلكان في وفيات الأعيان ج3 ص33.

[2] كما ذكرت في الفصل السابق، هناك روايات تذكر أعداداً أكثر من هذا من الصحابة الذين استشهدوا في صفين.

[3] أمر معاوية بسب علي عليه السلام والعياذ بالله، وتنفيذ الأمر على المنابر عشرات السنين، من قبل خلفاء بني أمية وولاتهم منهم ومن غيرهم، أشهر من أن يحتاج إلى إثبات. وصل الأمر به أنه كان يتحرى السب كما روى مسلم والترمذي والحاكم (صحيح مسلم ج7 كتاب الفضائل باب من فضائل علي، وسنن الترمذي ج5 ص301، والمستدرك على الصحيحين ج3 ص109) في قوله لسعد بن أبي وقاص **"ما لك لا تسب أبا تراب؟"** يعني علياً عليه السلام. ووصل الأمر به أنه لم يكتف بلعن الإمام عليه السلام، ولكن جمع معه الحسنين عليهما السلام وابن عباس (رض)، كما روى الطبري في تاريخه ج5 ص71 أحداث سنة 37 وحرب صفين. راجع أيضاً كيف أن عماله كانوا يسبون علياً عليه السلام، إلى درجة أنها كانت الوصية الأهم لعماله – يروي الطبري في تاريخه تاريخ الطبري ج4 ص188، وصيته لعامله المغيرة بن شعبة (صحابي جليل هو الآخر!): **"ولست تاركاً إيصاءك بخصلة لا تتحمّ عن شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار له والعيب على أصحاب علي والاقصاء لهم"** (أيضاً المستدرك على الصحيحين ج1 ص541، مسند أحمد ج4 ص369، وتاريخ الخلفاء ص 232)؛ وكيف أن خلفاء وولاة بني أمية عموماً يسبونه على المنابر كما ذكر ابن حجر العسقلاني (فتح الباري في شرح صحيح البخاري ج7 ص57: **"ثم اشتد الخطب فتنقصّوه**

واتخذوا لعنه على المنابر سنّة"؛ وكيف أن لعنه عليه السلام في كل مكان كا ذكر ياقوت الحموي (معجم البلدان ج3 ص191) "لعن علي بن أبي طالب (رض) على منابر الشرق والغرب".

أما رفع عمر بن عبد العزيز رحمه الله السب فقد رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج4 ص58، ليضع بدله الآية المباركة ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْـمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**﴾النحل:90. ذكره الزمخشري في تفسير الآية المباركة، والسيوطي في تاريخ الخلفاء.

هنا أسأل القراء: ترى كيف تجدون أنفسكم تتفاعل مع هذه الجريمة التي استمرت عشرات السنين على منابر المسلمين التي شادتها سيوف الصحابة وأعلاها وأولها وأعظمها سيف علي عليه السلام ؟ هل تكونون معه عليه السلام أم مع الطليق بن الطليق الذي كانت تلك السيوف المباركة موجهة ضده في بدر وأحد والأحزاب؟ أين تقفون؟

[4] الصواعق المحرقة على أهل البدع والزندقة؛ وهذا المؤلف (ابن حجر الهيتمي) بلغ الغاية في المبالغة في معاوية بحيث ألف كتيباً سماه "تطهير الجنان واللسان من الخطور والتفوه بثلب سيدنا معاوية بن أبي سفيان"، أي ليس فقط عدم الكلام في مثالب سيده معاوية، ولكن عدم ترك العقل عرضة لمجرد الخاطرة في ثلبه! هكذا يصل التطرف بصاحبه.

[5] سنن الترمذي الحديث 3870، وسنن ابن ماجة الحديث 145، وصحيح ابن حبان الحديث 697 ، ومسند أحمد بن حنبل الحديث 9698، وغيرهم

[6] السنة ص17

[7] مثلاً عندما يأتي الطبري (تاريخ الطبري ج3 ص335) إلى الخلاف بين أبي ذر ومعاوية، فإنه يقول بصراحة أنه يتحاشى عن ذكر ما يدين معاوية في حين يروي رواية أنصار معاوية! فيقول: **"وفي هذه السنة أعني سنة 30، كان ما ذكر من أمر أبي ذر ومعاوية، وإشخاص**

معاوية إياه من الشام إلى المدينة، وقد ذكر في سبب إشخاصه إياه منها إليها أمورٌ كثيرة، كرهتُ ذكر أكثرها"! فيأتي إلى الرأي المؤيد لمعاوية فيقول: **"فأما العاذرون معاوية في ذلك ، فإنهم ذكروا في ذلك قصة..."** ويرويها؛ ولكن عندما يأتي إلى الرأي المؤيد لأبي ذر فإنه يقول: **"وأما الآخرون فإنهم رووا في سبب ذلك أشياء كثيرة ، وأموراً شنيعة كرهتُ ذكرها"!**

[8] رميه عليه السلام بالجهل في السياسة مما يتجرأ عليه بعض الباحثين في مقالاتهم وبحوثهم، وذلك لقصور عقولهم عن إدراك الأبعاد اللازمانية لدور الإمام عليه السلام، فيتصورونه كسائر الحكام.

[9] قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية ج5 ص326: **"إنتظمت السياسة لمعاوية ما لم تنتظم لعلي فيلزم أن تكون رعية معاوية خيراً من رعية علي، ورعية معاوية شيعة عثمان وفيهم النواصب المبغضون لعلي فتكون شيعة عثمان والنواصب أفضل من شيعة علي"!**

[10] الكافي ج 2 كتاب فضل القرآن الحديث 2

[11] الكافي ج1 ص62 باب اختلاف الحديث

[12] سورة المنافقون:4

[13] سورة الحشر:7

[14] نهج البلاغة ج2 الخطبة 97

[15] بحار الأنوار ج22 ص312

[16] نهج البلاغة ج2 الخطبة182

[17] الصحيفة السجادية الدعاء 4